## المطلب الأول
## اسمه ونسبه ومولده [١]

هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن المكي بن محمد كحول بن مناه بن باديس، ولد بمدينة قسنطينة [٢] يوم الأربعاء 11 ربيع الثاني 1307هـ الموافق 4 من ديسمبر 1889 م، وسجل يوم الخميس 12ربيع الثاني الموافق 5 ديسمبر 1889م في سجلات الحالة المدنية التي أصبحت منظمة وفي أرقى صورة بالنسبة لذلك العهد لأن الفرنسيين أتموا ضبطها سنة 1886 م.[٣]

وابن باديس الذي وُلد في مدينة قسنطينة شرقي الجزائر، في بيت يعجّ بالثراء والجاه، قد تزوّج في سنّ الخامسة عشرة من عمره في عام 1904م .

## المطلب الثاني: نشأته

(١) مصادر ترجمته: الأعلام (289/3) معجم المؤلفين (105/5) مجلة البيان ،العدد 13 مقال بعنوان: مجددون معاصرون رواد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ابن باديس حياته وآثاره ، 138/2 عمار الطالبي . الجزائر . 1388هـ = 1968م، الإمام عبد الحميد بن باديس : الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية ،محمود قاسم . دار المعارف . القاهرة . 1979م. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لعبد العزيز دخان .تركي رابح ، ابن باديس ونشأة الحركة الإصلاحية في الجزائر مجلة الأصالة عدد 24 مجلة كلية العلوم الاجتماعية العدد الخامس (1401هـ) ص246 – 251،محمد فتحي عثمان . عبد الحميد بن باديس : رائد الحركة الإسلامية في الجزائر المعاصرة، دار القلم ،الكويت ،1407هـ –1987م. أنور الجندي .الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا . الدار القومية للطباعة والنشر –القاهرة ،1385هـ،1965م. أعلام الإصلاح، 58/1، محمد دبوز :المطبعة العربية، الجزائر 1971 م، ط1،مجلة حضارة الإسلام ،العدد1،السنة الخامسة ،تموز 1964، ص 84–93.

(٢) تقع مدينة قسنطينة فلكياً على خط 36.23 شمالاً، وخط 7.35 شرقاً، وتتوسط إقليم شرق الجزائر، حيث بمسافة 431 كلم عن الجزائر العاصمة غرباً وحوالي 245 كلم عن الحدود الشرقية الجزائرية التونسية وتتربع قسنطينة فوق الصخرة العتيقة وسط تضاريس وعرة وأخدود وادي الرمال العميق الذي يشقها، أقيمت عليها سبعة جسور لتسهيل حركة التنقل، واشتهرت بعد ذلك قسنطينة باسم مدينة الجسور المعلقة، ويطلق الشعراء عليها اسم مدينة "الهوى والهواء"، وتعرف باسم مدينة "العلم والثقافة" نظراً لكونها مسقط رأس عديد من رجال الفكر والإصلاح والأدب الجزائريين.

(٣) أُخذت هذه المعلومات من حديث شخصي أجراه عبد المالك حداد وعبد الحق عباس مع الأستاذ عبد الحق بن باديس الشقيق الأصغر للإمام عبد الحميد بن باديس . راجع:عبد الحميد بن باديس الداعية المصلح والسياسي المجاهد.الشيخ خليل حوراني ،الإمام عبد الحميد بن باديس رائد الحركة العلمية والإصلاحية في الجزائر (2/1) بقلم عبد المالك حداد

نشأ الإمام ابن باديس في أحضان أسرة عريقة في العلم والجاه، وكان والده باراً به، فحرص على تعليم ولده منذ صباه تعليماً إسلامياً خالصاً ؛ فلم يُدخله المدارس الفرنسية كبقية أبناء العائلات المشهورة، بل أرسل به إلى الشيخ المقرئ محمد بن المدَّاسي فحفظ عليه القرآن وتجويده وعمره لم يتجاوز الثالثة عشرة سنة مما جعل شيخه المدَّاسي يقدمه لإمامة المصلين في صلاة التراويح ثلاث سنوات في الجامع الكبير بقسنطينة ! فنشأ منذ صباه في رحاب القرآن فشب على حبه والتخلُّق بأخلاقه.

ثم ما لبث أن وجهه والده إلى المربّي الكبير والعالم الجليل الشيخ حمدان بن لونيسي [1]، فتلقى منه العلوم العربية والإسلامية ومكارم الأخلاق،وعليه واصل السماع والتلقي في قسنطينة، ولقد أخذ الشيخ الونيسي عليه عهداً ألا يعمل بوظيفة حكومية تحط من كرامته وتقيد حريته، وقد نفذ عبد الحميد بن باديس وصية أستاذه تنفيذاً كاملاً فلم يقبل الوظائف التي عرضت عليه ولم يسع وراءها حتى وافاه أجله المحتوم. كما أوصى هو بدوره تلاميذه ألا يقربوا الوظائف الحكومية عند فرنسا ولا يقبلوها إذا عرضت عليهم حتى يعيشوا أحراراً لأفكارهم ومبادئهم ورسالتهم الإصلاحية.

فنال إعجاب أساتذته بما أظهر من استقامة في الخُلُق، وطيبة في السيرة، وهو ما هيأه مبكراً للاضطلاع بدوره التاريخي في أحلك فترة من فترات التاريخ على العروبة والإسلام في الجزائر..[2]

ثم سافر الإمام ابن باديس إلى تونس في سنة ( 1326هـ- 1908م) وانتسب هناك إلى جامع الزيتونة، وأخذ العلم من المبرزين من الأساتذة والشيوخ الذين كان لهم بالغ الأثر في تكوينه الفكري واتجاهه .

وقد عرف ابن باديس أثناء دراسته في الزيتونة بالنشاط، وكان يتميز بحب الاطلاع الواسع، كما يبدو من خلال اتصالاته ببعض العلماء خارج الزيتونة حيث كان

---

(١) حمدان بن لونيسي:من علماء الجزائر المشهورين، ومن زعماء الحركة الإسلامية في الجزائر نشأ في قسنطينة ، ودرس بها ثم هاجر إلى الديار المقدسة بعد إعلان الدستور العثماني سنة 1908م وكان يدرس بالمسجد النبوي، و هو من أعلام الحديث والمذهب المالكي، توفى بالمدينة المنورة سنة 1920م.ترجمته: معجم أعلام الجزائر،ص 346. وصراع بين السنّة والبدعة:(231/2) أحمد حماني ،قسنطينة دار البعث، 1984م.

(٢) عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية ص 45 وما بعدها . لمصطفى محمد حميداتو،

يحضر بعض الدروس غير المقررة في برنامج الزيتونة فهو يخبرنا أنه حضر على الشيخ "محمد الخضر بن الحسين"[1] دروسه في تفسير البيضاوي في داره بباب منارة في تونس.

فقد تأثر كثيراً ببعض المشايخ الذين وجد في آرائهم وأفكارهم وأساليب تعليمهم ما يلائم طبعه وتطلعه، و ميله إلى الاجتهاد واستعمال العقل.

وبعد أربع سنوات قضاها الإمام ابن باديس في تحصيل العلم بكل جدّ ونشاط، تخرج في سنة (1330هـ-1912م) حاملاً شهادة "التطويع" (العالمية) ثم رحل إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وهناك التقى بشيخه "حمدان بن لُونيسي"الذي هاجر إلى المدينة المنورة، متبرّماً من الاستعمار الفرنسي وسلطته، واشتغل هناك بتدريس الحديث، كما اتصل بعدد من علماء مصر والشام، وتتلمذ على الشيخ حسين أحمد الهندي الذي نصحه بالعودة إلى الجزائر، واستثمار علمه في الإصلاح، إذ لا خير في علم ليس بعده عمل، فعاد إلى الجزائر، وفي طريق العودة مرّ بالشام ومصر واتصل بعلمائهما، واطّلع على الأوضاع الاجتماعية والثقافية والسياسية لهما.[2]

## المطلب الثالث:شيوخه وتلاميذه

**شيوخه**: لقد كان لشيوخ الإمام ابن باديس دوراً كبيراً في تنمية استعداده وتعهده بالرعاية والتوجيه،وكان أول معلّم له هو الشيخ محمد بن المدّاسي، أشهر مقرئي مدينة قسنطينة في زمانه، تلقى عليه القرآن فأتقن حفظه وتجويده. وهو الذي علّمه العلم، وخط له مناهج العمل في الحياة، ولم يبخس استعداده حقّه.

ويُرجِع ابنُ باديس الفضلَ في تكوينه العلمي إلى والده، الذي ربّاه تربية صالحة، ووجّهه وجهة سليمة، ورضي له العلم طريقًا يتبعه، ومشرباً يَرِدُهُ، ولم يشغله بغيره من أعباء الحياة، فكفله وحماه من المكاره صغيراً وكبيراً.

(١) محمد الخضر بن الحسين بن علي بن عمر الحسني التونسي:عالم إسلامي أديب باحث، يقول الشعر، من أعضاء المجمعين العربيين بدمشق والقاهرة، وممن تولوا مشيخة الأزهر. ولد في نفطة(من بلاد تونس)وانتقل إلى تونس مع أبيه(سنة 1306)وتخرج بجامع الزيتونة. (1293 – 1377 هـ = 1876 – 1958 م) الأعلام6/113

(٢) يراجع:ابن باديس حياته وآثاره 2/189

ويذكر عبد الحميد بن باديس في مجلة "الشهاب" وفي جريدة "البصائر"أن الأساتذة الذين أثروا في تكوينه الفكري وفي اتجاهه الإصلاحي والوطني الذي التزمه طوال حياته لا يتجاوز عددهم أربعة أساتذة فقط وهم على الترتيب:

1-الشيخ احمد أبوحمدان لْونيسي العالم المتصوف القسنطيني الجزائري: المهاجر إلى المدينة المنورة والمدفون بها. وقد كان له تأثير كبير في تكوينه العلمي والعملي معاً،وهو الأستاذ الأول الذي تلقى عليه دراسته الابتدائية في قسنطينة قبل أن يسافر إلى الدراسة في جامع الزيتونة بتونس كما ذكرنا منذ قليل

2-الشيخ محمد الطاهر بن عاشور [1]:الذي يصفه بأنه ثاني الرجلين اللذين يشار إليهما (في تونس) بالرسوخ في العلم، والتحقيق في النظر، والسمو في التفكير. وقد بدأ اتصاله به قبل حصوله على شهادة العالمية بعام واحد، ولازمه مدة ثلاث سنوات.

وقد درس ابن باديس عليه الأدب العربي في ديوانه الحماسة لأبي تمام، وتأثر به في تكوين ذوقه الأدبي واللغوي تأثراً كبيراً عبر عن هبقوله:"وأن أنس فلا أنسى دروساً قرأتها من ديوان الحماسة على الأستاذ ابن عاشور، وكانت من أول ما قرأت عليه، فقد حببتني في الأدب والتفقه في كلام العرب، وبثت فيَّ روحاً جديداً في فهم المنظوم والمنثور،وأحيت فيَّ الشعور بعز العروبة والاعتزاز بها كما اعتز بالإسلام"[2]

3-الشيخ محمد النخلي القيرواني [3]:هوالعالم الجليل وصاحب الفضل الكبير والعلم الغزير، أستاذ التفسير في جامع الزيتونة المعمور،استقى ابن باديس الحكمة من بحر الخير الذي كان يتدفق من صدر هذا العالم العامل، فكان لذلك أثر عميق في توجهه العلمي والعملي.

---

(١)الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها.عين (عام1932م) شيخاً للإسلام مالكياً.وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و(التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، و(الوقف وآثاره في الإسلام) ومما عني بتحقيقه ونشره (ديوان بشار بن برد) أربعة أجزاء. وكتب كثيراً في المجلات. مات سنة 1393هـ انظر:الأعلام 174/6

(٢)جريدة البصائر – العدد 16، السنة الأولى، الجزائر، في 24 أبريل سنة 1936 م.

(٣)محمد النخلي: شاعر وفقيه من أعلام مدرسي جامع الزيتونة، كان متأثراً بمدرسة محمد عبده والأفغاني.وُلد بالقيروان في(1862م-1278هـ)، وتوفي بتونس(1924م-1342هـ)

يقول ابن باديس عن شيخه:(كنت متبرّماً بأساليب المفسرين،وإدخالهم لتأويلاتهم الجدلية واصطلاحاتهم المذهبية في كلام الله... فذاكرتُ يوماً الشيخ النخلي فيما أجده في نفسي من التبرم والقلق، فقال لي:(اجعل ذهنك مصفاة لهذه الأساليب المعقدة، وهذه الأقوال المختلفة، وهذه الآراء المضطربة، يسقط الساقط، ويبقى الصحيح، وتستريح)، فوالله لقد فتح الله بهذه الكلمات القليلة عن ذهني آفاقًا واسعة لا عهد له بها)

ويقول عنه في موطن آخر:(ولا أكتمكم أني أخذت شهادتي في جامع الزيتونة في العشرين من عمري، وأنا لا أعرف للقرآن أنه كتاب حياة، وكتاب نهضة، وكتاب مدنية وعمران، وكتاب هداية للسعادتين، لأنني ما سمعتُ ذلك من شيوخي عليهم الرحمة ولهم الكرامة، وإنما بدأت أسمع هذا يوم جلست إلى العلامة الأستاذ محمد النخلي).

فللأستاذ النخلي يرجع الفضل في تحرير تلميذه من قيود التقليد الذي لا فكر فيه ولا نظر، ففتح الله له على يد هذا الأستاذ الفاضل أبواب العمل والمعرفة، ففهم قواعد الإسلام ومحاسنه، وعقائده وأخلاقه، وآدابه وأحكامه، فأشرقت دعوته تهتك أستار الظلام والجهل، وتشع بالنور والعلم.[1]

4-الأستاذ البشير الصفر[2]: وقد أرجع إليه ابن باديس الفضل في معرفته بالتاريخ العربي والإسلامي والقومي مما كوَّن منه جندياً من جنود الجزائر. ويعتبر الأستاذ بشير صفر الذي درس في أوروبا،ويعرف عدة لغات حية من المصلحين المجددين في تونس،ومن بناة النهضة العلمية والفكر الحديث بها، وكان يشتغل بالتدريس في جامع الزيتونة ومدرسة الخلدونية، وقد تقلد عدة مناصب علمية وسياسية في تونس. واعترافاً منه بفضل هذا الأستاذ الكبير علي ه، يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس:"وأنا شخصياً أصرح بأن كراريس (البشير الصفر) الصغيرة الحجم الغزيرة

(١)جريدة "البصائر" السنة الأولى، العدد 16،الجزائر، في أبريل،سنة 1936 م. ابن باديس حياته وآثاره 77/1، عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية ص 45 وما بعدها

(٢)هو:أحد علماء تونس وأستاذ التاريخ في الجامعة الزيتونية، كانت ثقافته واسعة.

العلم، هي التي كان لها الفضل في إطلاعي على تاريخ أمتي، والتي زرعت في صدري هذه الروح التي انتهت اليوم لأن أكون جندياً من جنود الجزائر"[١].

وبالمدينة المنورة تأثر الإمام ابن باديس بالشيخ العلامة الكبير السيد حسين أحمد الهندي الفيض آبادي[٢]،الذي كان يذكره كثيراً، ويُرجع إليه الفضل في توجيهه إلى العمل في الجزائر،عندما التقى به في المدينة المنورة سنة 1913هـ، فيقول:(أذكر أني لما زرتُ المدينة المنورة، واتصلت فيها بشيخي الأستاذ حمدان بن لْونيسي، المهاجر الجزائري، وشيخي حسين أحمد الهندي، أشار عليّ الأول بالهجرة إلى المدينة المنورة، وقطع كل علاقة لي بالوطن، وأشار عليّ الثاني، وكان عالماً حكيماً، بالعودة إلى الوطن وخدمة الإسلام فيه والعربية بقدر الجهد، فحقق الله رأي الشيخ الثاني، ورجعنا إلى الوطن بقصد خدمته...)، وكان الشيخ حسين أحمد الهندي يتولى شرح صحيح الإمام مسلم في المسجد النبوي الشريف .

ومن أساتذته في مصر العلام ة محمد بخيت المطيعي [٣]،العالم الأزهري المشهور،الذي يُعد من المدرسة الإصلاحية الحديثة، وكان –على معارضته للشيخ محمد عبده في نواح– يؤيده في إنكار البدع والمحدثات في الدين..وعن علاقته به، يقول الشيخ ابن باديس:(لما رجعت من المدينة المنورة، على ساكنها وآله الصلاة

---

(١)مجلة الشهاب" ج5، م13، ص : 225 – 228 عدد يوليو،سنة 1937 م. من محاضرة له في الذكرى العشرينية لوفاة الأستاذ البشير الصفر) مجلة "الشهاب"عدد خاص،ج 4–5، يونيو،ويوليو،سنة 1938م، ص:288–291.

(٢)هو الشيخ حسين أحمد الهندي من علماء المسجد النبوي الشريف في بداية القرن العشرين، وقف في وجه الثورة العربية مما أدى إلى نفيه إلى مالطا أولاً ثم إلى الهند، وهناك تولى رئاسة العلماء بمدينة (ديوبند)،انظر: ابن باديس لمازن مطبقاني ص 35 . قال عنه الشيخ أبو الحسن الندوي "مولانا الشيخ حسين المدني شيخ الحديث ورئيس الأساتذة في دار العلوم" . وافاه الأجل في 13 جمادى الأولى سنة 1377هـ، انظر: شخصيات وكتب لأبي الحسن الندوي ،ص 27–29، طبعة دار القلم ،دمشق، 1990م.

(٣)محمد بخيت بن حسين المطيعي الحنفي: مفتي الديار المصرية، ومن كبار فقهائها. ولد في بلدة (المطيعة) من أعمال أسيوط.( 1271هـ–1854م) تعلم في الأزهر، واشتغل بالتدريس فيه. وانتقل إلى القضاء الشرعي سنة 1297. وعين مفتياً للديار المصرية سنة (1333هـ– 1339 هـ)(1914م– 1921 م) ولزم بيته يفتي ويفيد إلى أن توفي بالقاهرة. (– 1354 هـ– 1935 م)له كتب، منها (إرشاد الأمة إلى أحكام أهل الذمة – ط) و(أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدع من الأحكام – ط) و(حسن البيان في دفع ما ورد من الشبه على القرآن – ط) الأعلام50/6

والسلام سنة 1332هـ، جئت من عند شيخنا العلامة الشيخ حمدان بن لْونيسي المهاجر إلى طيبة والمدفون بها –رحمه الله– جئت من عنده بكتاب إلى الشيخ بخيت، وكان قد عرفه بالإسكندرية لمَّا مرّ بها مهاجراً. فعرّجت على القاهرة وزرت الشيخ بخيت بداره بحلوان، فلما قدّمت له كتاب شيخنا حمدان، قال لي:(ذلك رجل عظيم)،وكتب لي إجازة في دفتر إجازاتي بخط يده، رحمه الله وجازاه عنا وعن العلم والدين خير ما يجزي العاملين الناصحين.

ولا يفوتنا التذكير بأنَّ الشيخ عبد الحميد قد تأثر أيضاً بالحركة الإصلاحية لجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده من خلال مؤلفاته وآثاره الفكرية. [1]

**تلاميذه:**

وهم كثيرون، من أبرزهم: العلامة الشيخ مبارك الميلي مؤلف (رسالة الشرك ومظاهره) و(تاريخ الجزائر)،والشيخ الفضيل الورتلاني، وموسى الأحمدي، والهادي السنوسي، وباعزيز بن عمر، ومحمد الصالح بن عتيق، ومحمد صالح رمضان وغيرهم.

## المطلب الرابع:ثناء العلماء عليه

يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي[2]: وهو رفيق دربه في الإصلاح، وأقرب الناس إليه، وأعرفهم بمناقبه، يقول عنه:"إنه باني النهضتين العلمية والفكرية بالجزائر، وواضع أسسها على صخرة الحق، وقائد زحوفها المغيرة إلى الغايات العليا، وإمام الحركة السلفية، ومنشئ مجلة (الشهاب) مرآة الإصلاح وسيف المصلحين،ومربّي

(١)عبد الحميد ابن باديس مفسراً أ/حسن عبد الرحمن سلوادي ص47 ، حركة محمد عبده وعبد الحميد بن باديس وإبعادها الثقافية والاجتماعية والسياسية /عبد الكريم أبو صفصاف الهيئة المصرية للكتاب 2007م

(٢)هو محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي : مجاهد جزائري، من كبار العلماء . انتخب رئيساً لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. ولد ونشأ بدائرة سطيف (اصطيف) من أعمال قسنطينة وتفقه وتأدب في رحلة إلى المشرق (سنة 1911م) فأقام في المدينة إلى سنة (1917م) وفي دمشق إلى حوالي (1921م) وعاد إلى الجزائر ،وزج به في السجن العسكري (سنة 45) وعذب. وأفرج عنه فقام بجولات في أنحاء الجزائر لتجديد النشاط في إنشاء المدارس والأندية. ثم استقر (سنة 52) في القاهرة واندلعت الثورة الجزائرية الكبرى (54) فقام برحلات إلى الهند وغيرها لإمدادها بالمال. وعاد إلى الجزائر بعد انتصارها، فلم يجد مجالا للعمل. فانزوى إلى أن توفي. وكان من أعضاء المجامع العلمية العربية في القاهرة ودمشق وبغداد (1306 – 1385 هـ = 1889 – 1965 م) الأعلام 54/6

جيلين كاملين على الهداية القرآنية،والهدي المحمّدي وعلى التفكير الصحيح، ومحيي دوارس العلم بدروسه الحيّة، ومفسّر كلام الله على الطريقة السلفية في مجالس انتظمت ربع قرن، وغارس بذور الوطنية الصحيحة، وملقّن مبادئها على البيان، وفارس المنابر، الأستاذ الرئيس الشيخ عبد الحميد ابن باديس، أول رئيس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأول مؤسس لنوادي العلم والأدب وجمعيات التربية والتعليم، وحسبه من المجد التاريخي أنه أحيا أمّة تعاقبت عليها الأحداث والغير، ودينًا لابسته المحدثات والبدع، ولسانًا أكلته الرطانات الأجنبية، وتاريخًا غطى عليه النسيان، ومجدًا أضاعه وَرَثَةُ السوء، وفضائلَ قتلتْها رذائلُ الغرب ، فرحم الله تلك الأرواح الطاهرة"[1]

ونعته الشيخ مبارك الميلي –رحمه الله–:"بالأستاذ العظيم والمرشد الحكيم، عدّتنا العلمية وعمدتنا الإصلاحية".

وقال عنه الشيخ الطيب العقبي : " المصلح الفذّ، و العلامة الذي ما أنجبت الجزائر – منذ أحقاب– مثله إلا قليلاً" وأسبغ عليه الشيخ علي بن حسن الأثري الحلبي قائلاً: عالم سلفي،وداعية سني، ومجاهد رباني،قضى حياته –ولا نزكي على الله أحداً– في أبواب العلم والدعوة والجهاد علماً وعملاً متبعاً كتاب ربه سبحانه ، ومتأسياً بسنة نبيه ﷺ، مقتفياً آثار سلف الأمة الهداة رحمهم الله أجمعين[2]

وقال عنه الشيخ محمد بن الحسن الثعالبي الفاسي: "علاّمة القطر الجزائري وأشهر عالم مفكر فيه، ورئيس علمائه كافة الشيخ عبد الحميد بن باديس المدرس بقسنطينة وصاحب مجلة الشهاب"[3]

وقال عنه أستاذه وشيخه في الزيتونة العلامة ابن عاشور: " العالم الفاضل، نبعة العلم والمجادة، ومرتع التحرير والإجادة، ابننا الذي أفتخرُ ببنوته إلينا ... الشيخ سيدي عبد الحميد ابن باديس... أكثر الله من أمثاله في المسلمين "

## المطلب الخامس:عقـــيـدتــه

(١)عيون البصائر ص : 624، دار المعارف – القاهرة، مصر، 1963م.
(٢)الدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية ص : 5
(٣)الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي،561/2. محمد بن الحسن الثعالبي الفاسي، طبع علي نفقة المكتبة العلمية لصاحبها الشيخ محمد سلطان المدينة المنورة(1397هـ–1977م)

الذي ينظر في تراث الإمام ابن باديس–رحمه الله– يجد أن المنهج الذي كان ينتهجه، والمعين الذي كان يتزود منه هو عين النبع الذي أوصي به النبي صلي الله عليه وسلم في قوله " تَرَكْتُ فيكُمْ أَمْرَيْنِ لنْ تَضِلُّوا ما تَمسَّكْتُمْ بهما :كتابَ الله، وسنّة نَبِيّهِ »[1]

فلقد كان –رحمه الله– سلفيًّا، متمسكًا بالكتاب الكريم و بلسنّة الصحيحة، مُعتدًّا بفهم السلف الصالح لهما، وقد قرّر ذلك في أكثر من مناسبة، منها ما حرّره في خاتمة(رسالة جواب سؤال عن سوء مقال) حين قال رحمه الله :«اعلموا - جعلكم الله من وعاة العلم، ورزقكم حلاوة الإدراك والفهم، وجمَّلكم بعزَّة الاتِّباع، وجنَّبكم ذِلّة الابتداع–أنَّ الواجب على كلِّ مسلم في كلِّ زمان ومكان، أن يعتقد–عقدا يتشرَّبه قلبه، وتسكن له نفسه، وينشرح له صدره، ويلهج به لسانه، وتنبني عليه أعماله – أنَّ دين الله تعالى – من عقائد الإيمان،وقواعد الإسلام وطرائق الإحسان – إنّما هو في القرآن والسنّة الثابتة الصحيحة ، وعمل السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، وأنّ كلَّ ما خرج عن هذه الأصول،ولم يحظَ لديها بالقبول– قولاً كان أو عملاً أو عقداً أو حالاً– فإنّه باطل من أصله، مردود على صاحبه، كائنا من كان،في كلِّ زمان ومكان . هذه نصيحتي لكم ووصيَّتي أفضيت بها إليكم، فاحفظوها واعملوا بها، تهتدوا وترشدوا–إن شاء الله تعالى –؛ فقد تضافرت عليها الأدلة من الكتاب والسنّة وأقوال أساطين الملة من علماء الأمصار،وأئمة الأقطار، وشيوخ الزهد الأخيار، وهي–لعمر الحقّ–لا يَقبلها إلا أهل الدِّين والإيمان، ولا يردُّها إلا أهل الزيغ والبهتان»[2]

ونراهيصرح بما ينبغي أن يكون عليه الاعتقاد في مسألة كثر فيها الكلام سلفاً وخلفاً حيث يقول–رحمه الله– نثبت له–عز وجل– ما أثبته لنفسه على لسان رسوله من ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله وننتهي عند ذلك ولا نزيد عليه، وننزهه في ذلك عن

(١)أخرجه مالك في الموطأ، 899/2 ح3، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر، قال الإمام الزرقاني: مر أن بلاغه صحيح كما قال ابن عيينة ، وقد أخرجه ابن عبد البر من حديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده ، وعزاه للحاكم . شرح الموطأ (307/4). وأخرجه الحاكم في المستدرك، (93/1)، والبيهقي في السنن (11/10)، وانظر تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني على مشكاة المصابيح للإمام التبريزي، 66/1 رقم 186

(٢)جواب سؤال عن سوء مقال،لابن باديس:ص(97–98)،آثار ابن باديس (222/3)

مماثلة أو مشابهة شيء من مخلوقاته ،ونثبت الاستواء والنزول ونحوهما ،ونؤمن بحقيقتهما على ما يليق به تعالى بلا كيف،وبأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد.(١)

وكان يقول:الإسلامُ إنَّما هو كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وما كان عليه سلفُها من أهل القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية على لسان الصادق المصدوق)(٢)

وقال خليفتُه الشيخ البشير الإبراهيمي :أتمَّ اللهُ نعمتَه على القطر الجزائري؛ بختمِ الأستاذ عبد الحميد بن باديس لتفسير الكتاب الكريم درْساً على الطريقة السلفيَّة ...ولا معنى لذلك كلِّه إلاَّ أنَّ إحياءَ القرآن على الطريقة السلفيَّة إحياءٌ للأمة التي تَدين به ) (٣)

فالشيخ العلامة ابن باديس هو رائد النهضة العلمية في الجزائر بلا مدافع ومجدد الدين فيها بلا منازع، وقد أحيى فيها الدعوة السلفية الحقة بكل مدعماتها وأصولها كما يعلمه من اطلع على سيرته ، وأدمن النظر في آثاره، و لقد سار –رحمه الله– على طريقة لم يكن له بد من سلوكها، أثَّرت على نتائج دعوته وجهاده إيجاباً وسلباً حيث ظهرت بعض معالم دعوته ظهوراً لا يمتري فيه ممتر كموقفه من أهل التصوف وعُبَّاد القبور، بينما انطمست معالم أخرى حتى ظُنَّ أنه كان سالكاً سبيلاً غيرها، ...والذي يعتقد اعتقاداً جازماً أن العلامة ابن باديس –رحمه الله تعالى – الداعية ورافع لواء الإصلاح؛ كان سلفي العقيدة والمنهج والسلوك، مجانباً للبدع الكلامية، ومخالفاً لأهل التقليد والجمود في الفقه، وسائراً في الدعوة إلى الله على منهاج النبوة، ولا يدعي له العصمة من الخطأ وهذا أمر معلوم عند كل من ينتهج الطريق السني السلفي.(٤)

ومما يدلل علي ما ذكرنا عن عقيدة الشيخ ابن باديس – رحمه الله– انه أسس (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين )على أساس من المبادئ السلفية، فدعا إلى إصلاح عقيدة المسلمين في الجزائر من أنواع البدع والخرافات ،كما دعا إلى الاجتهاد،ومحاربة التقليد الأعمى والجمود الفكري،وذلك بالتعمق في دراسة القرآن

(١)العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ص:59 عبد الحميد بن باديس،
(٢)آثار الإمام عبد الحميد بن باديس (73/5)
(٣)من مقدمته لتفسير ابن باديس (ص:13)
(٤)عقيدة الإمام عبد الحميد بن باديس السلفية لأبي عبد الله محمد حاج عيسى الجزائري بتصرف

الكريم والسنة النبوية،ولقد كان لجمعيته دور كبير في محاربة الاستعمار الفرنسي في الجزائر حتى نال استقلاله عام(1382هـ 1962م)[1].

## المطلب السادس: آثاره العلمية ومؤلفاته

انشغل ابن باديس–رحمه الله– ببناء الإنسان وإنقاذ الأجيال التي ولدت في أحضان الاستعمار عن تأليف الكتب، ومعظم إنتاجه الفكري مقالات ودروس ألقاها في المساجد والمدارس، سلُم لنا بعضها وفُقد معظمها الآخر، وقد جُمع كثير من آثاره بعد وفاته، منها:

1 . تفسير ابن باديس : "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير " الذي نشره الأستاذان: محمد الصالح وتوفيق محمد، الذي طبع ونشر سنة 1948م.

2 . مجالس التذكير من حديث البشير النذير: طبعته وزارة الشؤون الدينية بالجزائر، سنة 1403 هـ/ 1983م. تضمن الأحاديث النبوية المشروحة وغيرها من الآثار المتعلقة بالسنة وصاحبها ﷺ، التي نشرت في مجلة "الشهاب"،وفي غيرها من جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بالإضافة إلى درس ختم موطأ الإمام مالك ومناسبة الاحتفال بختم شرحه الذي أقيم أواسط ربيع الثاني عام 1358هـ (جوان 1939م) أي بعد عام على ختمه لتفسير القرآن العظيم.

3 . (العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية): وهي عبارة عن الدروس التي كان يمليها الأستاذ ابن باديس على تلاميذه، في أصول العقائد الإسلامية وأدلتها من القرآن والسنة النبوية على الطريقة السلفية، وقد جمعها وعلق عليها تلميذه البار الأستاذ محمد الصالح رمضان الذي تلقها عن الإمام ابن باديس إملاءً مباشرة في حلق الدرس بالمسجد في الفترة ما بين 16 رجب 1353 هـ/أكتوبر 1934 م و25 صفر 1354 هـ/مايو 1935 م، بنسبة حصة واحدة في الأسبوع لا تتجاوز الثلاثين دقيقة، ولأهمية تلك الدروس تم نشرها في كتاب سنة

(١)الأعلام (289/3)، وعبد الحليم عويس ، أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الفكر الإسلامي الإصلاحي في الجزائر ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية بالرياض ، العدد الخامس ( 1401 هـ ) ص 225–256 .

1963م،ثم أعيد طبعها مرتين عامي 1966م و1990م، كما نشرها الشيخ محمد الحسن فضلاء سنة 1984 م. دار البعث، قسنطينة، 1985م- 120 صفحة.

4 . كتاب (رجال السلف ونساؤه): وهي مجموعة من المقالات – ثلاثة عشر مقالاً – ترجم فيها الإمام ابن باديس لبعض الشخصيات البارزة من الصحابة والصحابيات رضوان الله عليهم، وما لهم من صفات اكتسبوها من الإسلام، وما كان من أعمالهم في سبيله، نشرت تلك التراجم في مجلة (الشهاب)، جمعها ونشرها الأستاذان محمد الصالح رمضان وتوفيق محمد شاهين سنة 1966 م.

5 . مبادئ الأصول :وهو عبارة عن رسالة في علم الأصول من إملاء الإمام ابن باديس على طلبته، متضمنة مقدّمة للمصنّفات المفصّلة وإقليد للمطوّلات، يمتاز بأسلوب سهل وبسيط، بعيد عن التعقيد اللفظي، مع رقّة الفهم، ودقّة في العبارة، مخالف للعديد من الرسائل والمختصرات من علم الأصول التي تحاول أن تؤدي معاني كثيرة في عبارة مُقتضبة، الأمر الذي لا يعين على فهمها إلاّ بصعوبة بالغة. هذا، والمؤلف قسم رسالته إلى أربعة أبواب: وقد قام الشيخ أبي عبد المعز محمد علي فركوس بدراسة وتحقيق الرسالة، وقدمها للطبع والنشر سنة 2001 م بعنوان "الفتح المأمول في شرح مبادئ الأصول" وقد حقق هذه الرسالة (مبادئ الأصول) د/ عمار طالبي – ط:الشركة الوطنية للنشر و التوزيع - الجزائر، 1980 - 48 صفحة.

6– تراجم أعلام وهي عبارة عن رسالة تشمل عشرين ( 20) مقالاً، تتناول في مجموعها بعض الشخصيات الإصلاحية ممن عاصروا الإمام ابن باديس أو سبقوه بقليل منهم "عبد العزيز جاويش"، "رمضان حمود"، "عمر المختار"، "الشيخ عبد العزيز الثعالبي"، والشاعران "شوقي" و"حافظ" غيرهم.

7–حقق الإمام ابن باديس كتاب"العواصم من القواصم" للقاضي أبو بكر بن العربي[1]وهذا الكتاب في جزأين متوسطي الحجم، قدمهما الإمام ابن باديس وطبعهما سنة 1347 هـ/1928م بمطابع الشهاب بقسنطينة. "المطبعة الجزائرية الإسلامية"

(١)هو: أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الأشبيلي المالكي، الشهير بابن العربي، ولد سنة (468 هـ)، كان ثاقب الذهن، كريم الشمائل، ولي قضاء أشبيلية فحمدت سياسته، ثم ترك القضاء، وأقبل على نشر العلم وتدوينه، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين، وصنف في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ، له مصنفات منها : أحكام القرآن، وعارضة الأحوذي

8- رسالة جواب عن سوء مقال : وهي عبارة عن رسالة نافعة صغيرة في الذب عن –النبي ﷺ– لا تزيد عن سبع عشرة صفحة، ألفها رداً على أحمد بن عليوة المستغانمي صاحب الطريقة العليوية، الذي تَجَرَّأَ على مقام النبوة الكريم فَفَاهَ بِجُمَلٍ سَخِيفَةِ الْمَعْنَى في أبيات باللّسان العَامِّيّ الوارد في السؤال وقد نشرها في ديوانه المطبوع في تونس عام 1920 م، المشحون بالدعوة إلى مبدأ الحلول وحدة الوجود. تحتوي على مقدّمة وأربعة فصول وخاتمة، حَشَدَ فيها ابن باديس في رسالته خير الأدلة، من الكتاب الكريم والسنّة الصحيحة وآثار السلف، بأسلوب علمي متين ولسان عربي مبين. فرغ من تحريرها صبيحة الثلاثاء 27 ذي الحجة عام 1340هـ الموافق لعام 1922 م، طبعها ونشرها في نفس العام، وأرسل بها إلى كبار مشايخه بتونس وإلى أفاضل العلماء والمفتين بالجزائر والمغرب ومصر، فاطّلعوا عليها وقرّظوها وأرسلوا إليه بتقريظهم تباعاً، نشرها في الجزء الأخير من الرسالة بأسماء العلماء المقرظين مع بيان وظائفهم وبلدانهم. واعتبروها من العمل المبرور والصنيع المشكور، وضلّلوا من فاه بتلك الأبيات، لما حوته من ترّهات"!

وقد قامت وزارة الشؤون الدينية في الجزائر بجمع كثير ممّا حوته صحافة الجمعية من نشاطات الإمام عبد الحميد بن باديس في مجالات:التربية والتعليم، إضافة إلى ما ذكرنا من آثاره العلمية، تحت عنوان: (آثار الإمام عبد الحميد بن باديس). وقد جمع "عمار طالبي" معظم آثار "ابن باديس "ونشرها في الجزائر في أربعة مجلدات سنة (1388هـ = 1968).

شرح سنن الترمذي، والعواصم من القواصم توفي سنة (543 هـ). راجع ، له ترجمة في سير أعلام النبلاء (20 \ 197). 125،شذرات الذهب 6 \ 232، وفيات الأعيان 4 \ 296

## المطلب السابع: وفاته

وبعد حياة حافلة بالجهاد ضد المستعمر ،وبالكفاح من أجل نشر الثقافة الإسلامية لفظ الشيخ عبد الحميد بن باديس أنفاسه الأخيرة رحمة الله عليه في ليلة الثلاثاء الثامن من ربيع الأول سنة 1359 هـ الموافق لـ 16 أبريل 1940م في مسقط رأسه بمدينة قسنطينة، عن واحد وخمسين عامًا، ودفن في مقبرة آل باديس بقسنطينة. – رحمه الله رحمة واسعة–

وبعد ؛ فهذه سيرة رجل انشغل ببناء أفراد يخدمون قضية الحق والخير ولربما طواه النسيان قليلاً ولكن...أبدا لن يمحى من ذاكرة الأمة ففي بنيها من يحيون دراسة تلك القمم بفهم وعلم وبصيرة راشدة عساهم يفيدون الإسلام والمسلمين.

❁❁❁

## المبحث الثاني: التعريف بتفسير ابن باديس

### المطلب الأول: التعريف بالتفسير

يُعد تفسير ابن باديس–رحمه الله–:كتاب جامع لدروسه في تفسير القرآن الكريم التي ظل يلقيها على طلبته والعامة لمدة خمسة وعشرين عامًا، بدأه في ربيع سنة 1332هـ/1914م، وختمه في 13 من ربيع الثاني 1357هـ الموافق لـ 12 جوان 1938م، وقد بيَّن الإمام ابن باديس من خلال هذه الدروس مختلف نواحي القيم الإسلامية الواجب اتّباعها، مركزاً على مقاصد القرآن الكريم التي يمكن تلخيصها بما يلي:

أولاً :الناحية العقدية التي تتناول جانب الإيمان بالله والرسل والملائكة واليوم الآخر.

ثانياً :الناحية الأخلاقية التي يدعو القرآن إلى التلبّس بها لتهذيب النفوس وتزكيتها

ثالثاً : الناحية الحياتية العملية، وهي التي تتناول الأحكام التي تنظم علاقة الفرد بربّه وبنفسه وبغيره من الأفراد وبمجتمعه ككلّ. ولكنه لم يكتب من هذه الدروس التفسيرية إلا القليل، فلم يكن الشيخ يكتب من التفسير ما يلقيه، ولم تكن آلات التسجيل شائعة الاستعمال، متيسّرة الوجود، ولم يتح له من يسجل ما يقول، ولكن الله أبى أن يضيّع فضله وعمله، فألهمه كتابة مجالس معدودة من تلك الدروس كان ينشرها فواتح لأعداد مجلة "الشهاب"،ويسمّيها(مجالس التذكير م ن كلام الحكيم الخبير):ولقد طبعت وزارة الشؤون الدينية بالجزائر هذ هالمجالس، سنة 1402 هـ/1982م. وتضمن الكتاب تمهيد وتصدير للعلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، قدم بها العدد الخاص بختم تفسير القرآن من مجلة "الشهاب" سنة 1938 م، ومقالات افتتاحية كتبها الإمام ابن باديس بمجلة الشهاب حول الذكر والتذكير وأفضل الأذكار قدمها بين يدي دروس تفسيره التي سماها مجالس التذكير. وتضمن الكتاب إشارات تفسيرية في آيات متسلسلة من سورة الإسراء ، والفرقان، والنمل، ويس. ثمَّ آيات متفرقة من سورة يوسف ، والنحل، والمائدة، والنور، ومريم، وطه، والأنبياء، والحج، والمؤمنون، والذاريات، وتفسير المعوذتين اللتين ختم بهما تفسيره للقرآن وألقاهما في الاحتفال الخاص بذلك[1]،

وأخيراً بحث قرآني عن العرب في القرآن الكريم [2].

هكذا ورد تسلسل السور في المجلد الذي بين أيدينا من تفسير ابن باديس. [1]

---

(١) ينظر: مجالس التذكير ص:367

(٢) مجالس التذكير ص:389

يقول الأستاذ حسن سلوادي وهو يذكر المراحل التي مر بها جمع ما تناثر من تفسير الشيخ ابن باديس: "نشر بعض هذه الدروس المرحوم أحمد بوشمال مدير المطبعة الإسلامية بقسنطينة بعد وفاة الإمام ابن باديس بثماني سنوات ونشره سنة 1948م. ثم أعاد نشرها وأضاف إليها إضافات هامة وعلق عليها الأستاذان محمد الصالح رمضان (جزائري) وتوفيق محمد شاهين (مصري) سنة 1964، وتحتوي هذه الدروس على تفسير الآيات متفرقة من سور الإسراء والفرقان والنمل ويس بالإضافة إلى قدر ضئيل من الآيات من سور متعددة أخرى، كما اشتملت أيضاً على التفسير الذي سمعه وسجله الشيخ البشير الإبراهيمي بقلمه في درس الختم وهو تفسير المعوذتين"[٢]

**المطلب الثاني** :**مصادر المفسر** :

يصرح الشيخ ابن باديس في خطبة افتتاحه لدروس التفسير المصادر التي رجع إليها في تفسيره قائلاً:وعمدتنا فيما نرجع إليه من كتب الأئمة

1-تفسير ابن جرير الطبري الذي يمتاز بالتفاسير النقلية السلفية، وبأسلوب الترسلي البليغ في بيان معنى الآيات القرآنية، وبترجيحاته لأولي الأقوال عنده بالصواب.

2-وتفسير الكشاف الذي يمتاز بذوقه البياني في الأسلوب القرآني،وتطبيقه فنون البلاغة على آيات الكتاب، والتنظير لها بكلام العرب واستعمالها في أفانين الكلام.

3-وتفسير أبي حيان الأندلسي الذي يمتاز بتحقيقاته النحوية واللغوية ، وتوجيهه للقراءات.

4-وتفسير الرازي الذي يمتاز ببحوثه في العلوم الكونية، مما يتعلق بالجماد والنبات والحيوان والإنسان،وفي العلوم الكلامية ، ومقالات الفرق ، والمناظرة والحجاج في ذلك.

إلي غير ذلك مما لابد لنا من مراجعته من كتب التفسير والحديث والأحكام، وغيرها مما يقتضيه المقام . نقول هذا ليعرف الطلبة مصادر درسنا، ومآخ ذ ما يسمعونه منا. [٣]

---

(١) تقع طبعة دار الكتب العلمية التي اعتمدت عليها في (429) صفحة.

(٢)عبد الحميد ابن باديس مفسراً حسن عبد الرحمن سلوادي ص64.بتصرف

(٣) مجالس التذكير ص:41

فهو يعتمد في التفسير المنقول علي تفسير الطبري [١]، وفي المسائل اللغوية و البلاغية علي تفسير الزمخشري [٢]وأبي حيان الأندلسي [٣]،وفي المسائل الكونية يرجع إلي مفاتيح الغيب،وهذا يدل علي مهارة الشيخ في استخراج كل علم برز فيه صاحبه،وتأثر به تفسيره واشتهر، حتى تجمع المجالس الباديسية فرائد وفوائد هذه الأمهات من التفاسير غير أنه يرجع إلي جملة من المصادر غير التي صرح بها في علوم أخري، ولعل هذا ما قصده من عبارته التي قال فيها " إلي غير ذلك مما لابد لنا من مراجعته من كتب التفسير والحدي ث والأحكام، وغيره ا مما يقتضيه المقام"

ومن هذه ال مصادر في الفقهيات أحكام القرآن لابن العربي المالكي [٤] وأحكام القرآن للجصاص [٥]ومن مصادره في الحديث مؤطا مالك[٦] ومسند أحمد [٧] أحمد [٧] والكتب الستة [٨] وصحيح ابن حبان [٩]ومستدرك الحاكم [١٠]ومعجم الطبراني [١١] وسنن البيهقي [١٢]ومن شروح الحديث التي رجع إليها وذكرها فتح الباري لابن حجر[١٣] والقبس لابن العربي [١٤] ومن معاجم اللغة العربية اللسان [١٥] والصحاح [١٦]

(١) مجالس التذكير ص:186،191 وتصرف في النقل
(٢)مجالس التذكير ص:230،340 وتصرف في النقل
(٣) مجالس التذكير ص:209
(٤) راجع مجالس التذكير ص:192 ،86 ،
(٥) مجالس التذكير ص:221
(٦) مجالس التذكير ص:198،199
(٧) مجالس التذكير ص:193،221
(٨) مجالس التذكير ص:134،135،144،140،341،226
(٩) مجالس التذكير ص:135
(١٠) مجالس التذكير ص:272
(١١) مجالس التذكير ص:231،342
(١٢) مجالس التذكير ص:230
(١٣) مجالس التذكير ص:244
(١٤) مجالس التذكير ص:246
(١٥) مجالس التذكير ص:165
(١٦) مجالس التذكير ص:91،165،137

وكتب أخري كإعلام الموقعين لابن القيم[١]
والإحياء للغزالي [٢]والشفاء للقاضي عياض [٣] وينقل عن ابن رشد [٤] وعن أبي البقاء[٥]في مواطن قليلة.

**المطلب الثالث: هدف ابن باديس من تفسيره**

لم يسلك ابن باديس – رحمه الله – طريق أمثاله من المفسرين في تدوين تفسير القرآن الكريم في كتاب خاص أو كراس إلا مجموعة متفرقة من الآيات كان ينشرها كافتتاحيات في مجلة الشهاب التي كانت تصدر بقسنطينة تحت عنوان "مجالس التذكير"، كما لم يفعل ذلك تلامذته سواء في حياته أو بعد مماته، وبذلك يكون قد ضاع من الأمة الإسلامية خير كبير.

وفي هذا الصدد يقول الشيخ البشير الإبراهيمي– رحمه الله –: "لم يكتب الأخ الصديق آماليه في التفسير ولم يكتب تلامذته الكثيرون شيئا منها، وضاع على الأمة كنز علم لا يقوم بمال، ولا يعوض بحال."[٦]

ويقول في مقام آخر: "فإن من دواعي الأسف أنه لم ينتدب من مستمعي هذه الدروس من يقيدها بالكتابة ولو وجد من يفعل ذلك لربحت هذه الأمة ذخراً لا يقوم بمال، ولاضطلع هذا الجيل بعمل يباهي به جميع الأجيال، ولتمخض لنا ربع قرن عن تفسير يكون حجة هذا القرن على القرون الآتية، ومن قرأ تلك النماذج القليلة المنشورة في الشهاب باسم مجلس التذكير، علم أي علم ضاع وأي كنز غطى عليه الإهمال." [٧]

وعدم تأليف الإمام بن باديس كتاباً في التفسير له مبرره، فالشيخ كان همه الذي حمله طيلة حياته هو العمل على إرجاع الأمة إلى القرآن وهديه والاستقامة على

(١) مجالس التذكير ص:175
(٢) مجالس التذكير ص:380
(٣) نقل دون أن يعزو راجع ص:136 في مجالس التذكير و( 1/158–159)من الشفا بتعريف حقوق المصطفى القاضي عياض)ط :دار الفكر– بيروت– لبنان1409هـ
(٤) مجالس التذكير ص:227،228
(٥) مجالس التذكير ص: 137
(٦) مجالس التذكير ص:21(مقال للإبراهيمي بعنوان خصائص التفسير الباديسي)
(٧) ابن باديس حياته وآثاره ص22.

منهجه، ولم يكن ليتحقق له ذلك بالانزواء وراء مكتب لتدوين تفسيره على ورق في مدة غير يسيرة وقد تكون الفائدة مما يكتبه آنذاك محدودة

لقد كان منشغلاً مع إخوانه من جمعية العلماء المسلمين ببناء المدارس،وتعليم الأجيال، وتربية الأمة، والعمل على مكافحة الأمية في أوساط الشعب،وتوفير الوسائل المادية والبشرية لنجاح هذا المشروع الضخم، زيادة على انشغاله بمصارعة الاستعمار ،ومكافحة خطر المشعوذين الذين كانوا يثبطون العزائم وينشرون الخرافات يؤيدهم في ذلك الاستعمار الصليبي.

ولم يكن الشيخ يهدف أن يضيف تفسيراً جديداً إلى المكتبة الإسلامية الزاخرة بالتفاسير، وإنما كان يهدف إلى إعادة الشعب المسلم إلى القرآن بعدما أبعد عنه، فكان القرآن الكريم هو محور التربية التي يتلقاها النشء على يدي الشيخ، كما كان هو منهاج النبي ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم، فكانوا جيلاً قرآنياً فريداً، وشاهد هذا قول الشيخ ابن باديس –رحمه الله–:(إننا والحمد لله نربي تلاميذنا على القرآن من أول يوم، ونوجه نفوسهم إلى القرآن في كل يوم، وغايتنا التي ستتحقق أن يُكوِّن منهم القرآن رجالاً كرجال سلفهم، وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق الأمة آمالها، وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا جهودها).[1]

ولأجل هذا الهدف جاء تفسير الشيخ واضحًا سهلاً بأسلوب رشيق ممتع، تحس فيه بصدق اليقين ووهج الإيمان وحرارة القلب، فيبعث على الهداية ويحث إلى العمل.

وقد عُدَّ الشيخ إمامًا في التفسير، كما قال البشير الإبراهيمي –رحمه الله– بعدما بين طرق فهم القرآن عند العلماء ومدحه لطريق محمد عبده –رحمه الله–: (فانتهت إمامة التفسير بعده في العالم الإسلامي كله إلى أخينا وصديقنا ومنشئ النهضة الإصلاحية العلمية بالجزائر، بل بالشمال الإفريقي عبد الحميد بن باديس).

وقد ساعده في ذلك توفيق من الله عز وجل، واهتمام عظيم بالقرآن وعلومه، وذوق خاص في فهم القرآن كأنه حاسة زائدة خص بها، وذلك لأنه يعيش القرآن بكيانه كله، وبيان ناصع، وذكاء مشرق، وقريحة وقادة، وبصيرة نافذة، وشجاعة في الرأي والقول، وتمكن في العلوم الشرعية، واطلاع واسع على علوم أخرى نفسية واجتماعية وتاريخية وغيرها.[2]

---

(١) صحيفة الشهاب، نقلاً عن: جمعية العلماء، ص 129. تركي رابح (ابن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم ص(228).

(٢) ينظر:ابن باديس مفسرًا – (مقال منشور في موقع الإمام عبد الحميد بن باديس).

يقول الأستاذ عبد الرحمن سلوداي [1]: "وكان تفكيره منصباً على أن يجعل من التفسير مبدأ انطلاقه لنهوض الأمة الجزائرية وأساس هديه في الدراسات العلمية والإصلاح الديني والتربوي إيمانا منه بأنه لا فلاح للمسلمين إلاّ بالرجوع إلى هدى القرآن والاستقامة على طريقته.."(٢)

## المبحث الثالث: منهج ابن باديس في التفسير

إن الحديث عن منهج الشيخ ابن باديس–رحمه الله– في تناوله للتفسير من خلال مجالس التذكير لا يمكن أن ينفك عن تلك الحياة التي عاشها، والصعاب التي لاقاها في ظل الاحتلال الفرنسي للأبدان والعقول، فلقد كانت تجربته التفسيرية من أجل استنهاض الهمم، وبناء عزائم الرجال، وذلك واضح في الصبغة التي اصطبغ بها تفسيره للقرآن من خلال المجالس المباركة التي كان يعقدها طيلة ربع قرن من الزمان، فتفسيره في الجملة تفسير أدبي اجتماعي يناسب وضعه كدروس تلقى على العامة وغيرهم.

(١)أ.د/حسن عبد الرحمن سلوادي عميد كلية الآداب و عميد البحث العلمي والدراسات العليا بجامعة القدس المفتوحة

(٢) عبد الحميد بن باديس مفسراً ص50 مرجع سابق

فقد استخدام التفسير في التوعية بأهمية القرآن،والرجوع إلي منهج السلف الصالح في كل مناحي الحياة من أجل عيش كريم،وحياة شريفة،وإيجاد جيل يجعل القرآن من أمامه هادياً وإماماً ومما يدلل علي ذلك قوله–رحمه الله– (إن القرآن الذي كَوَّن رجال السلف لا يكثر عليه أن يُكَوِّن رجالاً في الخلف، لو أُحسن فهمه وتدبره، وحملت الأنفس على منهاجه.[١]

ومن أجل ذلك اتخذ الشيخ لنفسه منهجاً سلفياً معتمداً في طريقته التفسيرية بحيث يقدم التفسير المأثور بأنواعه عند تفسير الآية ،ومعلوم أن التفسير بالمأثور يشمل تفسير القرآن بالقرآن، وتفسيره بالسنة،وتفسيره بأقوال الصحابة والتابعين،والراجح اعتباره ضمن المأثور من التفسير.

قال الشيخ الدكتور محمد علي فركوس : عمل ابن باديس خلال فترات حياته على تقريب القرآن الكريم بين يدي الأمّة مفسّراً له تفسيراً سلفيًّا، سالكًا طريق رُوّاد التفسير بالمأثور، معتمداً على بيان القرآن للقرآن، وبيان السنّة له، آخذاً في الاعتبار أصول البيان العربي، كما كانت عنايته فائقة بالسنّة المطهرة وبالعقيدة الصحيحة التي تخدم دعوته الإصلاحية، كما ساعدته خبرته بالعلوم العربية –آدابها وقواعدها– ولذلك جاء أسلوبه في مختلف كتاباته سهلاً مُمتنعاً، بعيداً عن التعقيد اللفظي، مع ما كان عليه من اطلاع على المذاهب الفقهية المختلفة كما هو ملموس في فتاويه المتعدّدة.[٢]

ويمكن أن يقف المتصفح لجملة المجالس التي كتبها الشيخ ابن باديس علي الملامح العامة،والسمات الأساسية لمنهجه في التفسير فقد أبان عن كثير من هذه الملامح في خطبة افتتاح دروس التفسير مبيناً فيها طريقته في التفسير حيث قال:(فقد عدنا –والحمد لله تعالي– إلي مجالس التذكير من دروس التفسير نقتطف أزهارها،ونجني من ثمارها،بيسر من الله تعالي وتيسير.علي عادتنا في تفسير الألفاظ بأرجح معانيها اللغوية ، وحمل التراكيب على أبلغ أساليبها البيانية ، وربط الآيات، بوجوه المناسبات. معتمدين في ذلك على صحيح المنقول، وسديد المعقول، مما جلاه أئمة السلف المتقدمون ، أو غاص عليه علماء الخلف المتأخرون ، رحمة الله عليهم أجمعين.)[٣]

(١)صحيفة الشهاب، نقلاً عن: جمعية العلماء، ص129.
(٢) موقع الشيخ فركوس حفظه الله علي شبكة المعلومات الدولية.
(٣)مجالس التذكير ص:41

وإذا أردنا أن نقدّم وصفاً تفصيلياً للمنهج العام الذي سار عليه الشيخ –رحمه الله– في مجالس التذكير، فيمكن لنا أن نرسم منهجه في النقاط التالية

1- يختار آية أو عدة آيات ثم يبدأ بتمهيد يوضع القارئ في جو النص القرآني المراد تفسيره،معتمدا في ذلك علي سبب نزول الآية،أو الآيات المفسرة،أو ربطها بما سبقها،أو يذكر ما يثير انتباه القاري إلي القضية التي تعالجها الآية

2- ثم يذكر المفردات والمعاني اللغوية والتراكيب البيانية المتعلقة بها

3- ثم يذكر المناسبة إن وُجِدت

4- ثم يشرع بعدها في بيان المعاني

5- يستخلص العبر والفوائد مع تطبيق ما يستخرجه علي واقع الأمة

6- استخراج ما في النص القرآني من حقائق وقيم مختلفة كونية واجتماعية وأخلاقية ونفسية وسياسية واقتصادية وتاريخية تشريعية مركزاً في ذلك علي البيئة الجزائرية بصفة خاصة، وعلي الأمة العربية الإسلامية بصفة عامة، وعلي المجموعة الإنسانية بصفة أعم،مما كان له الأثر الفعال في نفس كل من يستمع تفسيره أو يقرؤه،ولا يفوته التنبيه على إبراز الجوانب الأخلاقية والعظات والدروس مع الجوانب العملية.[1]

فقد درج ابن باديس –رحمه الله–في تفسيره،علي تفصيل القول في الآية أو مجموعة الآيات التي يتناولها بالتفسير جملة–كمقطع أو وحدة تفسيرية–ضمن هذه القواعد الأساسية وهي: التمهيد،المناسبة،المفردات،التراكيب،المعني،الأحكام، مرتبة علي هذا الشكل يضاف إليها في بعض الأحيان:سبب النزول،إذا كان للآية سبب نزول خاص، ونقاط أخري يراها ضرورية في بيان بعض الآيات دون بعض وهي:تفسير القرآن بالقرآن أو بالأثر إن وجد،وفضل السورة: وهناك نقطتان مهمتان لا يكاد يتخلي عن التعرض لهما في جميع تفسيره وهما: الاستنباط،والفائدة العلمية

(١) بتصرف من مقدمة عبد الرحمن شيبان لكتاب مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ص:11-12 ط/مطبوعات وزارة الشئون الدينية،دار البعث قسنطينةالجزائر 1402-1982م ط:اولي

وترتيب هذه القواعد مجموعة عنده علي النحو التالي:التمهيد،فضل السورة، المناسبة،سبب النزول،المفردات،التراكيب،التفسير بالقرآن والمأثور، المعني، الأحكام،الاستنباط،الفائدة العلمية.(١)

## المطلب الأول: موقفه من تفسير القرآن بالقرآن

من المعلوم أن أحسن الطرق في تفسير القرآن هو القرآن نفسه، وذلك لأن الله تعالى هو الذي أنزل القرآن،وهو أعلم بما أراد به، فليس هناك أعلم بمراد الله تعالى من الله ورسوله، فما أُطلق في موضع ربّما قُيّد في موضع آخر، وكذلك ما عُمّم، وما أُجمل، وهذا لا شكّ أنّه يتطلّب من المرء الاعتناء بالقرآن من أوّله إلى آخره، وبالسنّة رواية ودراية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– :"فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ:فَمَا أَحْسَنُ طُرُقِ التَّفْسِيرِ؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّ أَصَحَّ الطُّرُقِ فِي ذَلِكَ: أَنْ يُفَسَّرَ الْقُرْآنُ بِالْقُرْآنِ، فَمَا أُجْمِلَ فِي مَكَانٍ فَإِنَّهُ قَدْ فُسِّرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ وَمَا اُخْتُصِرَ مِنْ مَكَانٍ فَقَدْ بُسِطَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ.(٢)

وقال ابن القيم –رحمه الله–:وتفسير القرآن بالقرآن من أبلغ التفاسير(٣)

ومما يدل علي اهتمام الشيخ ابن باديس بالمأثور من التفسير سواء كان تفسيراً بالقرآن الكريم أو بالسنة أو بأقوال الصحابة والتابعين وتقديمه علي كل أدوات التفسير ما ذكره في تفسيره تحت عنوان (ميزان) حيث قال"عندما يختلف عليك الدعاة،الذين يَدّعِي كل منهم أنه يدعوك إلي الله تعالي، فانظر: من يدعوك بالقرآن إلي القرآن، ومثله ما صح من السنة لأنها تفسيره وبيانه،فاتبعه لأنه هو المتبع للنبي–صلي الله عليه وآله وسلم–في دعوته وجهاده بالقرآن، والمتمثل لما دلت عليه أمثال هذه الآية الكريمة من آيات القرآن.(٤)

وقال رحمه الله: (وليكن دليلنا في ذلك وإمامنا كتاب ربنا،وسنة نبينا، وسيرة صالح سلفنا، ففي ذلك كله ما يعرفنا بالحق، ويبصرنا في العلم، ويفهمنا في الدين، ويهدينا

---

(١) الإمام عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة من خلال آثاره في التفسير والحديث ص:253 رسالة ماجستير مقدمة من الباحث/عامر علي العرابي،جامعة أ م القري بالمملكة العربية السعودية 1408–1409 هـ

(٢) مقدمة في أصول التفسير ( ص44–45) ابن تيمية.

(٣) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم (ص 117)، وانظر:إعلام الموقعين (431/2)

(٤) مجالس التذكير ص:189

إلى الأخذ بأسباب القوة والعز والسيادة العادلة في الدنيا، ونيل السعادة الكبرى في الآخرة.)[١]

بل إنه يوجه الناس إلي سبيل القرآن والسنة فهما سبيل النجاة قائلاً:(لا نجاة لنا من هذا التيه الذي نحن فيه، والعذاب المنّوع الذي نذوقه ونقاسيه:إلا بالرجوع إلى القرآن؛ إلى علمه وهديه، وبناء العقائد والأحكام والآداب عليه، والتفقه فيه، وفي السنة النبوية؛ شرحه وبيانه، والاستعانة على ذلك بإخلاص القصد، وصحة الفهم، والاعتضاد بأنظار العلماء الراسخين، والاهتداء بهديهم في الفهم عن رب العالمين.)[٢]

فهذه العبارات وغيرها تحدد الأساس الذي بني عليه الإمام ابن باديس كل أعماله الإصلاحية، إنه القرآن الكريم منبع العلوم كلها.

أما عن طريقته في تفسير القرآن بالقرآن فقد كان ابن باديس –رحمه الله– ينوع في استخدام الآيات القرآنية لبيان وتفسير نظيراتها،فتارة يفسر الآية من خلال آية أخري كما في تفسيره لقوله تعالي: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﴾(٣) حيث قال بعد كلام في بيان معني الآية(وقد بَيَّنَ القرآن من هم الصالحون بياناً شافياً كافياً بذكر صفاتهم مثل قوله تعالي ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ(٤) وأحياناً يفسر الآية بما يناظرها من الآيات التي توضح المعني،وتُبَيِّن المراد كما ورد عند تفسيره لقوله تعالي ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﭼ(٥) فقد قال تحت عنوان( تنظير)"وصف الله تعالى القرآن بأنه شفاء في مواضع من كتابه منها هذه، ومنها قوله تعالى ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ(٦) ومنها قوله: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ(٧)

وأفادت الآيات كلها أنه شفاء لأهل الإيمان الذين يؤمنون دون غيرهم،فإنهم

(١) مجالس التذكير ص:126-127
(٢) مجالس التذكير ص:175
(٣) الأنبياء: ١٠٥
(٤) آل عمران: ١١٤ ،مجالس التذكير ص:347
(٥) الإسراء: ٨٢
(٦) يونس : 57
(٧) فصلت: ٤٤

بإعراضهم عنه كانوا من الخاسرين. وجاءت آية يونس بتقييد الشفاء بها في الصدور الذي هو مستقر العقائ د، لأن ذلك هو المقصود الأول من هداية القران،وأصل لغيره(١)

ومن أمثلة استخدامه التنظير ما ذكره عند تفسيره(٢)لقوله تعالي:چأ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ چ(٣)حيث قال بعد بيان المعني العام" ونظيرها أيضاً آية چ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک گ گ گ گ ڳ چ(٤)

ومنه قوله عند تفسير قول الله تعالي چۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې چ(٥)قال هذه الآية من آيات الحث علي قيام الليل،مثل قوله تعالي چگ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں چ(٦) (٧) وقد يذكر الشيخ ف ي تفسير الآي ة آيات من القرآن تضيف معني جديد لم تتطرق إليه الآية التي يتحدث عنها كما ورد عند تفسيره لقوله تعالي چئى ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح چ(٨)قال"وقد قضي علي كل قرية بهذه العاقبة من الهلاك والعذاب الشديد في هذه الآية، وبيَّن في غيره سبب استحقاقها لهما فقال تعالي چۇ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا چ(٩)

ٹ ٹ چی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ چ(١٠)

ٹ ٹ چی ی ی ی ئج ئح ئم ئى چ(١١)

ٹ ٹ چأ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ چ(١٢)

---

(١) مجالس التذكير ص:142-143
(٢) مجالس التذكير ص:50
(٣) الإسراء: ١٨
(٤) هود: ١٥ – ١٦
(٥) الفرقان: ٦٤
(٦) السجدة: ١٦
(٧) مجالس التذكير ص:198
(٨) الإسراء: ٥٨
(٩) الكهف:٥٩
(١٠) هود: ١١٧
(١١) القصص: ٥٩
(١٢) الأنبياء: ١١

ٹ ڈ چ گ گ گ گ ڳ گ گ گ ڳ ں ں ڻ ڻ چ(١)
ٹ ڈ چ ٹ ٹ ڈ ٹ ٹ ڈ ڈ ف ف ڤ ڤ ڤ ڤ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ(٢) فأفادت هذه الآيات أن سبب الهلاك والعذاب هو الظلم، والفساد، والعتو، والتمرد، عن أمر الله ورسله،والكفر بأنعم الله.(٣)

ومن المواضع القيمة في مجالس التذكير مما يندرج تحت تفسير القرآن بالقرآن ما جاء عند تفسير قوله تعالي ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ چ(٤) حيث قال:(فإن المشركين جاءوا بكلمات في حق الله تعالي،وفي حق كتابه،وفي حق ملائكته، وفي حق نبيه لم يطابقوا فيها الواقع،ولا أتوا فيها بحق:كقولهم في الله وملائكته ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ چ(٥)وفي نبيه ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ چ(٦) وفي القرآن ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ چ(٧) ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ چ(٨) فهذه هي أمثالهم التي ضربوها فضلوا.

وجاء القرآن بعد كلماتهم الباطلة بكلمات الحق الدامغة مثل قوله تعالي : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ چ(٩) ﭽ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ چ(١٠) ﭽ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ چ(١١) فهذه هي أمثال الله التي جاءت بالحق وأحسن تفسيراً.(١٢)

ومن النماذج التي توضح اهتمام الشيخ بتفسير القرآن بالقرآن ما أورده عند تفسيره لقوله تعالي ﭽ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ چ(١٣) تحت عنوان بيان القرآن ل لقرآن قال: (في هذه الآية أنهم يلقون تحية وسلاماً؛وقد بيَّنَ من يتلقاهم بذلك في قوله

(١) الطلاق: ٨
(٢) النحل:١١٢
(٣) مجالس التذكير ص:124-125
(٤) الفرقان: ٣٣
(٥) الفرقان: ٢١
(٦) الفرقان: ٧
(٧) الفرقان: ٥
(٨) الفرقان: ٣٢
(٩) الفرقان: ٦
(١٠) الفرقان: ٢٠
(١١) الفرقان: ٣٢
(١٢) مجالس التذكير ص:182
(١٣) الفرقان: ٧٥

تعالي﴿ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئي ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم مج مح مخ مم نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ٌ ٍ َ ُ ِ ّ ْ ٓ ٔ ٕ ٖ ٗ ٘ ٙ ٚ ٛ ٜ ٝ ٞ ٟ ٠ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ٭ ٮ ٯ ٱ ٲ ٳ ٴ ٵ ٶ ٷ ٸ ٹ ٺ ٻ ټ ٽ ٿ ڀ ځ ڂ ڃ ڄ څ چ ڇ ڈ ډ ڊ ڋ ڌ ڍ ڎ ڏ ڐ ڑ ڒ ړ ڔ ڕ ږ ڗ ژ ڙ ښ ڛ ڜ ڝ ڞ ڟ ڠ ڡ ڢ ڣ ڤ ڥ ڦ ڧ ڨ ک ڪ ګ ڬ ڭ ڮ گ ڰ ڱ ڲ ڳ ڴ ڵ ڶ ڷ ڸ ڹ ں ڻ ڼ ڽ ھ ڿ ۀ ہ ۂ ۃ ۄ ۅ ۆ ۇ ۈ ۉ ۊ ۋ ۍ ێ ۏ ې ۑ ے ۓ ە ۔ ۖ ۗ ۘ ۙ ۚ ۛ ۜ ۝ ۞ ۟ ۠ ۡ ۢ ۣ ۤ ۥ ۦ ۧ ۨ ۩ ۪ ۫ ۬ ۭ ۮ ۯ ۰ ۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸ ۹ ۺ ۻ ۼ ۽ ۾ ۿ ﴾(١)فالملائكة هم الذين يتلقونهم في السلام،والدعاء لهم بالطيب،وهو مما يدخل في التحية؛لان من طيبهم طيب حياتهم.وما أكثر ما تجد في القرآن فاجعله من بالك تهتد –إن شاء الله–إليه )(٢)

ومن الدقائق والفرائد في توجيه آيات القرآن والجمع بين القرائن من الآيات ذات المعني المتقارب أفرد الشيخ عند الحديث عن قول الله تعالي ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڼ ڼ ڽ ڽ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﴾(٣)عنواناً سماه (دقيقة روحية)حيث قال: إن الأرواح النورانية الطاهرة السامية لا لذة لها حقيقية في هذا العالم الفاني المادي المنحط، وإنما لذتها الحقيقية في عالمها العالي الأقدس، وفي الرفيق الأعلى الأطهر، وفي معاشرة أمثالها من النفوس الطيبة الزكية، في ذلك القدس الأسنى، فهي دائمة الشوق إليه، والانجذاب نحوه. ولذا كان من دعوات الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– الدخول في الصالحين واللحوق بهم؛مثل قول سليمان هنا، وقول إبراهيم–عليه السلام–: ﴿ ئى ئي بج بح بخ بم بى بي ﴾(٤) وقول يوسف–عليه السلام: ﴿ ئۆ ئۈ ئۇ ئو ئې ﴾(٥)

وفقنا الله لشكر ما مَنَّ به من سابق النعمة، وللقيام فيما بقي من العمر بواجب الخدمة وختم لنا باللحاق بعباده الصالحين آمين.(٦)

وعند قول الله تعالي ﴿ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ﴾(٧)يقول تحت عنوان(محمدﷺ والقرآن نور وبيان)

(في هذه الآية وصف محمد –صلي الله عليه وآله وسلم– بأنه نور ،ووصف القرآن بأنه مبين،وفي آيات أخري وصف القرآن بأنه نور، كقوله ﴿ ى ي ئا ئا ئە ئە ئو ﴾(٨)ووصف الرسول بأنه مبين كقول ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ﴾(٩)وهذا ليبين لنا الله تعالي أن إظهار النبي –صلي الله عليه وآله وسلم–وبيانه

(١) الزمر: ٧٣
(٢) مجالس التذكير ص:242
(٣) النمل: ١٩
(٤) الشعراء: ٨٣
(٥) يوسف: ١٠١
(٦) مجالس التذكير ص:265
(٧) المائدة: ١٥
(٨) التغابن: ٨
(٩) النحل: ٤٤

وإظهار القرآن وبيانه واحد.(١)

**المطلب الثاني: موقفه من تفسير القرآن بالسنة.**

تعتبر السنة الرافد الثاني من روافد التفسير، وذلك مما لا شك فيه إذ هي بيان النبي المعصوم ﷺ للقرآن الكريم،ولا يمكن لمفسر تعاطي أو تصدر للخوض في كشف مراد الله من كلامه علي قدر طاقة البشر أقول لا يمكن له أن يستغني عن بيان السنة للقرآن الكريم.

ولأن المفسر يحتاج إلي دراية بالسنة وعلم بها كان الشيخ ابن باديس ذلك العالم القرآني المطلع علي السنة المبجل لها مهتماً بإبراز المسحة الحديثية في تفسيره للقران الكريم

وذلك من وجهة نظري يرجع إلي أمرين:

الأول:ما للسنة من أهمية في بيان القرآن الكريم. كما قرره المحققون من العلماء.(٢)

الثاني:نظرته إلى دور السنّة في التفسير، ترجع إلى تلك الطبيعة السلفية التي نشا عليها من اعتبار السنة المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، فالسنة مبينة ومفسرة للقرآن"لأنّها تفسيره وبيانه" (٣) "والقران قد علمنا أن النبي –صلي الله عليه وآله وسلم–هو المبين للناس ما نزل إليهم من ربهم،وأن عليهم أن يأخذوا ما آتاهم،وينتهوا عما نهاهم عنه،فكانت سنته العملية والقولية تالية للقرآن.(٤)

وتراه يسجل الإعجاب الشديد بالتفاسير النبوية للآيات القرآنية حيث يقول: "وما أحسن التفسير عندما تعضده الأحاديث الصحاح" (٥)

بل ينص علي أهمية هذا الأصل واعتباره عنده حيث يقول في الأصل الرابع من الأصول العشرين لجمعية العلماء المسلمين الجزائرية:"السنة القولية والفعلية الصحيحة تفسير وبيان للقرآن"(١)

(١) مجالس التذكير ص:330
(٢) انظر:مقدمة في أصول التفسير (ص: 93) إعلام الموقعين عن رب العالمين،153/4
(٣) مجالس التذكير ص:189
(٤) مجالس التذكير ص:174
(٥) مجالس التذكير ص:187

وللتدليل علي طريقته في تفسير القرآن بالسنة النبوية سوف أضع جملة من النقاط تيسيراً علي القاري الكريم،وأمثل عقب كل نقطة بمثال من المجالس الباديسية المباركة

1–يعول ابن باديس علي ما صح من الأحاديث مستغنياً بها عن كثير مما لم تصح نسبته إلي النبيﷺ بخلاف نهج بعض المفسرين الذين لم يهتموا بهذا الأمر، وخلطوا في تفاسيرهم بين الصحيح والموضوع، بينما نجد ابن باديس ينتقي أحاديثه في الجملة، فغالب أحاديثه صحيحة أو حسنة، وهويأخذ على كثير من المفسرين تساهلهم في سوق أحاديث لم تصح في فضائل السور، ويسجل هذا الضابط قائلاً:" لنا في ما صحّ غنية عما لم يصح"(٢)

وينقل عند تفسيره لقول الله تعالي چ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ چ(٣) تفسير نبوي يقول فيه

أخرج البخاري / في صحيحه، عن أبي هُرَيْرَةَ ط قَالَ: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ تَفْضُلُ صَلَاةُ الْجَمِيعِ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ وَحْدَهُ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا وَتَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ( ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ) فاستشهد أبو هريرة بالآية علي الحديث،ليبين أنه تفسير لها، وأن صلاة الفجر مشهودة تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار.(٤)

2–من الأمور التي تميز بها تفسير ابن باديس عزوه الأحاديث إلي مخرجيها من أصحاب المؤلفات الحديثية وسوقها بذكر الراوي الأعلى مع الطرق أحياناً بل ينص في بعض المواضع علي درجة الحديث.

مثال ذلك:عند تفسيره لقول الله تعالي چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ چ(٥)

قال:أخرج الشيخا ن عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–أَنَّ رَجُلًا قَالَ:يَا نَبِيَّ اللَّهِ

---

(١) ملحق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.قانونها الأساسي ومبادئها الإصلاحية مطبعة دار الكتب الجزائر بدون ص: 13 نقلا عن الإمام عبد الحميد ابن باديس ومنهجه في الدعوة ص:150

(٢) مجالس التذكير ص:369

(٣) الإسراء: ٧٨

(٤) مجالس التذكير ص: 133–134والحديث أخرجه البخاري في صحيح هـكتاب الْجَمَاعَةِ وَالْإِمَامَةِ– بَاب فَضْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ في جَمَاعَةٍ1/232ح 621

(٥) الفرقان: ٣٤

كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ؟ قَالَ ﷺ "أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى رِجْلَيْهِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ".(١)(٢)

والشيخ لا يكتفي بمجرد العزو وحسب بل يذكر الطرق والزيادات في بعض ألفاظ الحديث، وهذا يدلنا علي قريحة بالسنة وقادة، وفي أمواج بحارها ماهر ة متبحرة،فقد قال عند تفسيره (٣) لقول الله تعالي چۋ و و ۉ ۉ ې چ(٤) "وقد بينت السنة المطهرة مقداره–يعني قيام الليل–فثبت في المؤطا من طريق أبِي سَلَمَةَ عن عَائِشَةَ كأن رسول الله ﷺ ما كان يَزِيدُ في رَمَضَانَ وَلاَ في غَيْرِهِ على إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً،يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلاَ تَسْأَلْ عن حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلاَ تَسْأَلْ عن حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ،ثُمَّ يصلى ثَلاَثًا(٥) وثبت عند مسلم من طريق سعد بن هشام عنها بأنه كان يفتتح صلاته بالليل بركعتين خفيفتين،فتلك ثلاث عشرة.وقد ثبت في المؤطا من طريق عروة عنها قالت :وكان رسول الله ﷺ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً"(٦)

وهذا هو الغالب من أحواله ﷺ،وقد كان يصلي أقل منه في بعض الأحوال فقد ثبت عند البخاري من طريق مَسْرُوقٍ عنها، أن صَلاته – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ بِاللَّيْلِ سَبْعٌ، وَتِسْعٌ، وَإِحْدَى عَشْرَةَ، سِوَى رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ(٧)

ومثل ما جاء عن عائشة من انتهاء ركعاته إلي ثلاث عشرة جاء في المؤطا من حديث ابن عباس. وجاء فيه أيضاً من حديث زيد بن خالد الجهني(١)

---

(١) صحيح البخاري – كتاب تفسير القرآن –سورة الفرقان – بَاب قَوْلِهِ ( الَّذِينَ يُحْشَرُونَ على وُجُوهِهِمْ إلى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا) 1784/4ح 4482، وكِتَاب الرِّقَاقِ بَاب كَيْفَ الْحَشْرُ 2390/5ح 6158،وصحيح مسلم كِتَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ بَاب يُحْشَرُ الْكَافِرُ على وَجْهِهِ 2161/4ح2806

(٢) مجالس التذكير ص:185

(٣) مجالس التذكير ص:198–199

(٤) الفرقان: ٦٤

(٥) مؤطا مالك كتاب صلاة الليل ، باب صَلاَةِ النبي ﷺ في الْوِتْرِ 120/1ح 263

(٦) عن مَالِكٍ عن هِشَامِ بن عُرْوَةَ عن أبيه عن عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قالت كان رسول الله ﷺ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً ثُمَّ يُصَلِّي إذا سمع النِّدَاءَ بِالصُّبْحِ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ.
مؤطا مالك كتاب صلاة الليل ، باب صَلاَةِ النبي ﷺ في الْوِتْرِ 121/1ح 264

(٧) صحيح البخاري كتاب الْكُسُوف بَاب كَيْفَ كان صَلاَةُ النبي ﷺ وَكَمْ كان النبي ﷺ يُصَلِّي من اللَّيْلِ 382/1ح1088

وهذه السنة العملية الثابتة بيان للقدر الأكمل،الذي يكون به العبد ممن يصدق عليهم هذا الوصف من صفات عباد الرحمن[٢]

وهذا النموذج من تفسيره لا يحتاج إلي بيان أو تعليق فجهد الشيخ وإلمامه بالآثار ومخرجيها وطرقها أمر واضح جلي يستحق الإشادة والثناء .

ولقد ذكر الشيخ عند تفسيره لقول الله تعالي ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ[٣]

عنواناً سماه "بيان نبوي" حيث قال:خرَّج مسلم في صحيحه من طريق أَبِى هُرَيْرَةَ أن رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– قَالَ :"إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ الطَّيِّبَ وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فقَالَ (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) وَقَالَ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ،وَقَدْ غُذِّىَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ ".[٤][٥]

3– وربما ذكر الحديث بدون عزو هأو التنبيه علي درجة صحته .

مثاله:ما جاء عند تفسيره لقول الله تعالي ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ[٦] قال:وقال النبي ﷺ إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً "[٧]وذلك

---

(١) عن زَيْدِ بن خَالِدٍ الجهني أَنَّهُ قال لأَرْمُقَنَّ اللَّيْلَةَ صَلاَةَ رسول الله ﷺ قال فَتَوَسَّدْتُ عَتَبَتَهُ أو فُسْطَاطَهُ فَقَامَ رسول الله ﷺ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ طويلتين طَوِيلَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ ثُمَّ صلى رَكْعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا ثُمَّ صلى رَكْعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا ثُمَّ صلى رَكْعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا ثُمَّ صلى رَكْعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا ثُمَّ صلى رَكْعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا ثُمَّ أَوْتَرَ فَتِلْكَ ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً . مؤطا مالك كتاب صلاة الليل ،باب صَلاَةِ النبي ﷺ في الْوِتْرِ122/1ح 266

(٢) مجالس التذكير ص: 199–200،وللاستزادة ينظر: ص: 144،186،196،135،134 ،64،60،242،341وغير ذلك

(٣) المؤمنون: ٥١

(٤) صحيح مسلم كِتَاب الزَّكَاةِ–بَاب قَبُولِ الصَّدَقَةِ من الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا 703/2ح 1015

(٥) مجالس التذكير ص:355

(٦) النحل: ١٢٥

(٧) أخرج البخاري في صحيحه عن أُبَيَّ بن كَعْبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: "إِنَّ من الشِّعْرِ حِكْمَةً" كِتَاب الْأَدَبِ بَاب ما يَجُوزُ من الشِّعْرِ وَالرَّجَزِ وَالْحُدَاءِ وما يُكْرَهُ منه 2276/5ح 5793

لأن من الشعر ما فيه بيان عن عقيدة حق،أو خلق كريم،أو عمل صالح،أو علم وتجربة: كشعر أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ،الذي قال فيه النبيﷺ ﴿كَادَ أَنْ يُسْلِمَ[١] ولكَلِمَةُ لَبِيدٍ[٢] ط أَلاَ كَلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللَّهَ بَاطِلُ التي قال فيها النبي ﷺ أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ [٣]

ومن ذلك أيضا ما قاله عند تفسيره لقول الله تعالي﴿ ﴾[٤] قال:وورد في في الآثار أن لكل إنسان قرين من الجن .[٥]

ولعل سؤالاً ينشأ هنا وهو لماذا أرسل الشيخ الأحاديث ؟مع عنايته الفائقة في معظم تفسيره بالعزو والإسناد وتتبع الروايات والاكتفاء بالأحاديث الصحيحة دون غيرها. وهذا الملحظ استوقفني كثيراً عند قراءتي للمجالس الباديسية، ولكنني تتبع المواطن التي لم يعزها الشيخ أو حتى قالها بالمعني،فوجدته لا يذكر من الأحاديث إلا ما صح، وأكثره في الصحيحين فالظاهر أنه لم يعزو لشهرة ما يستشهد به من الأحاديث .

ودليل ذلك ما أورده عند تفسير قول الله تعالي﴿ ﴾[٦]قال ﴿[٦]قال تحت عنوان تفسير نبوي ما نصه ( قال رسول اللَّهِ ﷺ إِنَّ اللَّهَ إذا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فقال إني أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي في السَّمَاءِ فيقول إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ له الْقَبُولُ في الأرض وإذا أَبْغَضَ

---

(١) عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللَّهَ بَاطِلٌ ،وَكَادَ أُمَيَّةُ بن أبي الصَّلْتِ أَنْ يُسْلِمَ. صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة بَاب أَيَّامُ الْجَاهِلِيَّةِ 1395/3

(٢) لَبِيدُ بْنُ أَعْصَمَ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ وكان منافقاً حليفاً لليهود . قال الحافظ في "الفتح" 226/10: وبنو زُرَيق بطنٌ من الأنصار مشهورٌ من الخزرج. ثم حكى عن القاضي عياض قوله: ويحتمل أن يكون قيل له يهوديّ، لكونه من حلفائهم، لا أنه كان على دينهم.
السيرة النبوية لابن كثير 343/2

(٣) مجالس التذكير ص:320

(٤) الناس: ٦

(٥) مجالس التذكير ص:385 ، أخرج مسلم في صحيحه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنْ الْجِنِّ قَالُوا وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَإِيَّايَ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ كِتَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ ،بَاب تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ وَبَعْثِهِ سَرَايَاهُ لِفِتْنَةِ الناس وَأَنَّ مع كل إِنْسَانٍ قَرِينًا2167/4 ح 2814

(٦) مريم: ٩٦

عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فيقول إني أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي في أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ قال فَيُبْغِضُونَهُ ثُمَّ تُوضَعُ له الْبَغْضَاءُ في الأرض)[١]

ونحن نري الشيخ هنا لم يذكر الراوي أو العزو للكتاب،والحديث بلفظه في صحيح مسلم وهذا يؤكد ما ذكرناه آنفا

4–وقد يذكر الشيخ الحديث بمعناه ومن ذلك ما قاله عند تفسير قول الله تعالي ﭽ ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ﭼ[٢]

حيث قال"وقد حفظ الله علين ا ذلك بما أن تمسكنا به لن نضل أبداً–كما في الصحيح–"الكتاب والسنة" [٣] وذلك هو الإسلام الصحيح الذي أنقذ الله به العالم أولاً، ولا نجاة للعالم مما هو فيه اليوم إلا إذا أنقذه الله به ثانياً.[٤]

5– وقد يشير أثناء التفسير إلي السنة العملية دون أن يتعرض للتنصيص علي مصادرها، فعند تعرضه لتفسير قول الله تعالي ﭽ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮲ ﭼ[٥]قال: وثبت عنه ﷺ أنه استشفي واسترقي ببعض آيات القرآن العظيم، وأقر علي ذلك من فعله من أصحابه[٦] وربما استشهد بما يشاع

(١) مجالس التذكير ص: 341، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه من رواية أبي هريرة كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ بَاب إذا أَحَبَّ الله عَبْدًا حَبَّبَهُ إلى عِبَادِهِ 2030/4ح 2637

(٢) النور: ٦٣

(٣) ونصه في مؤطا مالك وَحَدَّثَنِي عن مَالِكٍ أنه بَلَغَهُ أن رَسُولَ الله ﷺ "قال تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا ما تَمَسَكْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ الله وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ" 899/2ح1594

(٤) مجالس التذكير ص:339 وراجع :مجالس التذكير ص:52

(٥) الإسراء: ٨٢

(٦) مجالس التذكير ص: 144، عَنْ عَائِشَةَ – رضي الله عنها – قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ نَفَثَ في كَفَّيْهِ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَبِالْمُعَوِّذَتَيْنِ جَمِيعًا ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ ، وَمَا بَلَغَتْ يَدَاهُ مِنْ جَسَدِهِ . قَالَتْ عَائِشَةُ فَلَمَّا اشْتَكَى كَانَ يَأْمُرُنِى أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ بِهِ . قَالَ يُونُسُ كُنْتُ أَرَى ابْنَ شِهَابٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ إِذَا أَتَى إِلَى فِرَاشِهِ . صحيح البخاري كِتَاب الطِّبِّ باب النَّفْثِ فِى الرُّقْيَةِ . 2169/5ح 5416.

وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ – رضي الله عنه – قَالَ انْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِىِّ – ﷺ – فِى سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَىِّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَاسْتَضَافُوهُمْ ، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ ، فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَىِّ ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَىْءٍ لاَ يَنْفَعُهُ شَىْءٌ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلاَءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَىْءٌ ، فَأَتَوْهُمْ ، فَقَالُوا يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ ، إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ ، وَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَىْءٍ لاَ يَنْفَعُهُ ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ شَىْءٍ فَقَالَ بَعْضُهُمْ نَعَمْ وَاللَّهِ إِنِّى

أنه حديث لإظهار معني الكلمة مثل ما ذكره عند بيان معني(يوزعون)حيث قال:وفي حديث ذكره أهل الغريب:من يزع السلطان وعقابه الدنيوي أكثر ممن يكفهم عن الشر الوعد والوعيد في القرآن [١]

**المطلب الثالث** :**موقفه من تفسير القرآن بأقوال السلف**

لم يكثر ابن باديس –رحمه الله–من النقل عن السلف من الصحابة والتابعين لكنه اهتم بذكر بعض أقوالهم في معني الآية بل وأظهر أهمية هذه الأقوال في فهم معني الآيات القرآنية،من خلال ذكره لأقوال السلف عند تفسيره لبعض الآيات،إضافة إلي اللمحة التي ذكرها في منهجه التفسيري حيث قال: (معتمدين في ذلك على صحيح المنقول،وسديد المعقول، مما جلاه أئمة السلف المتقدمون ،أو غاص عليه علماء الخلف المتأخرون،رحمة الله عليهم أجمعين)[٢]

---

لأَرْقِى ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدِ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضِيِّفُونَا ، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا= = جُعْلاً . فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الْغَنَمِ ،فَانْطَلَقَ يَتْفِلُ عَلَيْهِ وَيَقْرَأُ (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) فَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ ، فَانْطَلَقَ يَمْشِى وَمَا بِهِ قَلَبَةٌ ، قَالَ فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمُ الَّذِى صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمُ اقْسِمُوا . فَقَالَ الَّذِى رَقَى لاَ تَفْعَلُوا ، حَتَّى نَأْتِىَ النَّبِىَّ – ﷺ – فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِى كَانَ ، فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا . فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – فَذَكَرُوا لَهُ ، فَقَالَ « وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ – ثُمَّ قَالَ – قَدْ أَصَبْتُمُ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِى مَعَكُمْ سَهْمًا » . فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ .صحيح البخاري كِتَاب الْإِجَارَةِ بَاب ما يُعْطَى في الرُّقْيَةِ على أَحْيَاءِ الْعَرَبِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ 795/2ح 2156،وفي كِتَاب الطِّبِّ باب النَّفْثِ في الرُّقْيَةِ2169/5ح5417

(١) هذا ليس بحديث بل هو أثر مشهور على الألسنة يروى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه موقوفاً عليه بلفظ: إنَّ اللهَ لَيَزَعُ بالسُّلْطَانِ أكْثَرَ مِمَّا يَزَعُ بالْقُرْآنِ.كذا أورده الزمخشري – كما في إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن لنجم الدين الغزي 147/1عن عثمان موقوفاً دون سند! ثم ذكر الغزي أنه عند الخطيب البغدادي كذلك من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلفظ:"والله ما يزع الله بسلطان أعظم مما يزع بالقرآن."كنز العمال 5/ 299 – ح 14284،أخرجه الخطيب (107/4).الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث 60/1 ورواه ابن شبة في تاريخ المدينة ع ن عثمان رضي الله عنه (988/3.) ومعناه أن الله يزع بالسلطان يعني عقوبات السلطان، يزع بها بعض المجرمين أكثر مما يزعهم بالقرآن لضعف إيمانهم، وقلة خوفهم من الله تعالي.

(٢) مجالس التذكير ص:41

يقول ابن باديس / وفهوم أئمة السلف الصالح أصدق الفهوم لحقائق الإسلام ونصوص الكتاب والسنة(١)

وجدير بالذكر أن كلام الصحابة رضي الله عنهم لا سيما ذوو العلم منهم، والعناية بالتفسير ،مهم في تفسير القرآن الكريم لأنه نزل بلغتهم وفي عصرهم، ولأنهم بعد الأنبياء أصدق الناس في طلب الحق، وأسلمهم من الأهواء، وأطهرهم من المخالفة التي تحول بين المرء وبين التوفيق للصواب .

وكذلك كلام التابعين الذين اعتنوا بأخذ التفسير عن الصحابة رضي الله عنهم، لأن التابعين خير الناس بعد الصحابة، وأسلم من الأهواء ممن بعدهم . ولم تكن اللغة العربية تغيرت كثيراً في عصرهم، فكانوا أقرب إلى الصواب في فهم القرآن ممن بعدهم.(٢)

يقول ابن تيمية –رحمه الله–:"وَحِينَئِذٍ إذَا لَمْ نَجِدْ التَّفْسِيرَ فِي القرآن وَلَا فِي السُّنَّةِ رَجَعْنَا فِي ذَلِكَ إلَى أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ ، فَإِنَّهُمْ أَدْرَى بِذَلِكَ لِمَا شَاهَدُوهُ مِنْ الْقُرْآنِ وَالْأَحْوَالِ الَّتِي اخْتَصُّوا بِهَا؛ وَلِمَا لَهُمْ مِنْ الْفَهْمِ التَّامِّ وَالْعِلْمِ الصَّحِيحِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ ؛ لَا سِيَّمَا عُلَمَاؤُهُمْ وَكُبَرَاؤُهُمْ كَالْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَالْأَئِمَّةِ الْمَهْدِيِّينَ.

وقال– رحمه الله–:"إذَا لَمْ تَجِدْ التَّفْسِيرَ فِي الْقُرْآنِ وَلَا فِي السُّنَّةِ وَلَا وَجَدْته عَنْ الصَّحَابَةِ فَقَدْ رَجَعَ كَثِيرٌ مِنْ الْأَئِمَّةِ فِي ذَلِكَ إلَى أَقْوَالِ التَّابِعِينَ ". (٣)

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه:مَنْ عَدَلَ عَنْ مَذَاهِبِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَفْسِيرِهِمْ إلَى مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ ، كَانَ مُخْطِئًا فِي ذَلِكَ ، بَلْ مُبْتَدِعًا ، وَإِنْ كَانَ مُجْتَهِدًا مَغْفُورًا لَهُ خَطَؤُهُ .، ثم قال : فَمَنْ خَالَفَ قَوْلَهُمْ وَفَسَّرَ الْقُرْآنَ بِخِلَافِ تَفْسِيرِهِمْ ،فَقَدْ أَخْطَأَ فِي الدَّلِيلِ وَالْمَدْلُولِ جَمِيعًا.

أَمَّا إذَا أَجْمَعُوا – يعني التابعين – عَلَى الشَّيْءِ فَلَا يُرْتَابُ فِي كَوْنِهِ حُجَّةً، فَإِنْ اخْتَلَفُوا فَلَا يَكُونُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ حُجَّةً عَلَى بَعْضٍ، وَلَا عَلَى مَنْ بَعْدَهُمْ ،وَيُرْجَعُ فِي ذَلِكَ إلَى لُغَةِ الْقُرْآنِ ،أَوْ السُّنَّةِ ،أَوْ عُمُومِ لُغَةِ الْعَرَبِ ،أَوْ أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ فِي ذَلِكَ .(٤)

ومن النماذج التي وردت في تفسير ابن باديس الدالة علي استرشاده في بيان

---

(١) ملحق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ص: 13 نقلا عن الإمام عبد الحميد ابن باديس ومنهجه في الدعوة ص:144

(٢) أصول في التفسير للشيخ ابن عثيمين26/1، مقدمة في أصول التفسير

(٣) مقدمة في أصول التفسير ص (105)

(٤) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، 361/3–362.

الآيات بأقوال الصحابة–رضوان الله عليهم– ما قاله عند تفسيره لقول الله تعالي چچ چچچچڍڍڌڌڎڎڈچ[١] قال:وقد فسر المقام المحمود بمقام الشفاعة عبد الله بن عمر ك رواه عنه البخاري في صحيحه[٢] وفسره بها غيره[٣].

ولم يكن ابن باديس يكتفي بالنقل فقط فقد كان يوجه بعض أقوال السلف، ويجمع بينها إظهاراً للمراد وإزالة لما يُتوهم أنه مشكل، فنراه عند تفسير اللزام في قول الله تعالي چۋۅۉۉېېىىئائائەئوئوئۇچ[٤] ينقل عن ابن مسعود ط قال"أخرج البخاري في كتاب التفسير،عن عبد الهل بن مسعودط قال" خَمْسٌ قَدْ مَضَيْنَ الدُّخَانُ وَالْقَمَرُ وَالرُّومُ وَالْبَطْشَةُ وَاللِّزَامُ" ورواه في مواضع أخري من صحيحه .ثم يبين ما يقصده ابن مسعود من الأثر المذكور قائلاً: وعني بالدخان المذكور في قوله تعالي چگگگڳڳڳڳچ[٥] وبالقمر المذكور في قوله تعالي چھھےےۓچ[٦] وبالبطشة المذكورة في قوله تعالي چووۇۇچ[٧]وباللزام المذكور في هذه الآية

ثم قال:وفسر ابن مسعود ط البطشة الكبرى بيوم بدر،وفسر اللزام به أيضاً. فهي في الحقيقة أربع،وعدها خمساً باعتبار الوصفين البطشة والملازمة. وفسر الحسن / اللزام بعذاب يوم القيامة.

ثم يحاول الجمع بين القولين برباط حسن إذ يقول:ومن عادة السف أنهم يفسرون اللفظ بما يدخل في عمومه دون قصد للقصر عليه. ولا منافاة حينئذ بين التفسيرين، فيكونو ن قد تُوعدوا علي تكذيبهم بلزوم عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.[٨]

---

(١) الإسراء: ٧٩

(٢) عن آدَمَ بن عَلِيٍّ قال سمعت بن عُمَرَ رضي الله عنهما يقول إِنَّ الناس يَصِيرُونَ يوم الْقِيَامَةِ جُثًا كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ يا فُلَانُ اشْفَعْ يا فُلَانُ اشْفَعْ حتى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إلى النبي ﷺ فَذَلِكَ يوم يَبْعَثُهُ الله الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ. صحيح البخاري كتاب التفسير بَاب (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) 4/1748ح 4441

(٣) مجالس التذكير ص: 140 ،وممن فسر المقام المحمود بالشفاعة ابن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، وابن عمر ، وسلمان الفارسي ، وجابر بن عبد الله ، والحسن ، وهي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد. تفسيرالطبري526/17، زاد المسير في علم التفسير،76/5

(٤) الفرقان: ٧٧

(٥) الدخان: ١٠

(٦) القمر: ١

(٧) الدخان: ١٦

(٨) مجالس التذكير ص:244–245

ومن الأمثلة التي توضح استناده إلي أقوال السلف –رضوان الله عليهم– في فهم القرآن ما نقله عن ابن عباس ﷺ في تفسير قول الله تعالي چىىئائائەئوئوئۇئۇئۆ چ[١]يقول:" ئائا" بنتف ريشه،هكذا فسره ابن عباس وجماعة من التابعين.[٢]

ونري ابن باديس يوجه ويستنبط السبب في اختيار ابن عباس ﷺ وجمهور السلف هذا التفسير قائلاً:ليس في الآية ما يفهم منه خصوص نتف الريش من لفظ العذاب الشديد،وإنما فهم ابن عباس ب وأئمة التابعين ذلك بالنظر العقلي والاعتبار؛فان نتف ريشه يعطل خاصية الطيران فيه،فيتحول من حياة الطير إلي حياة دواب الأرض،وذلك نوع من المسخ،وقد عُلم أن المسخ في القرآن أشنع عقوبة في الدنيا، فلهذا فسروا العذاب الشديد بنتف الريش.[٣]

وقد يتعرض ابن باديس إلي أحوال الطرق التي تُروي بها الآثار من جهة الصحابة قوة وضعفاً فعند تفسيره لقول الله تعالي چچ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ چ[٤] چ[٤] يقول في معني الأرض "جنس الأرض الدنيوية،لان هذا اللفظ موضوع لها،فإذا لها،فإذا أطلق انصرف إليها،وبهذا فسرها ابن عباس ﷺ من طريق علي ابن أبي طلحة وهي أصح طرقه.[٥]

ومن الأمثلة التي ذكر فيها درجة الأثر المنسوب إلي الصحابي ما قاله عند تفسير قول الله تعالي چڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ چ[٦]قال"وقد روي ابن جرير–بسند حسن– جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ فَلَقَتْنِي الصَّلَاةُ اللَّيْلَةَ، فَقَالَ :أَدْرِكْ مَا فَاتَكَ مِنْ لَيْلَتِكَ فِي نَهَارِكَ،فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا.[٧]

---

(١) النمل: ٢١

(٢) مجالس التذكير ص: 268،ونقل الطبري هذا التفسير ع ن جماعة منهم مجاهد،والضحاك ، والحسين ابن أبي شداد،وقتادة،وابن زيد،ويزيد بن رومان.ونقل القرطبي هذا القول عن ابن جريج ويزيد بن رومان إضافة لمن ذكروا،ونسبه ابن الجوزي إلي الجمهور. انظر: تفسير الطبري145/19،الجامع لأحكام القرآن 180/13،زاد المسير 164/6

(٣) مجالس التذكير ص:269

(٤) الأنبياء: ١٠٥

(٥) مجالس التذكير ص:346

(٦) الفرقان: ٦٢

(٧) مجالس التذكير ص: 191، والأثر في تفسير الطبري 19 /30 ،وأحكام القرآن للجصاص 212 /5

وينقل ابن باديس أقوال التابعين في التفسير مع عبارات التقدير والثناء علي هؤلاء العلماء الربانيين من أمثال مدحه الإمام مجاهد / عند قوله تعالي چھ ے ے ۓ چ[1] قال :قال مجاهد التابعي الجليل الثقة الثبت المفسر الكبير:أئمة نقتدي بمن قبلنا،ويقتدي بنا من بعدناذكره البخاريورواه ابن جرير بسند صحيح[2].

وينقل عن الإمام مالك/ في معني الحكمة في قول الله تعالي چٱٻ ٻ ٻ ٻ پ چ[3] قال مالك بن أنس ا "هي التفقه في الدين والعمل به"[4]

وينقل عن سفيان ابن عيينة[5] والإمام جعفر الصادق[6] وعن غيرهم.

**المطلب الرابع: تفسير القرآن باللغة العربية**

مما لا شك فيه أن معرفة المفسر باللغة العربية وقواعدها وأسرارها من أهم المقومات التي يعتمد عليها في بيان المعني المستنبط من الآيات،ولذلك نص كثير من أهل العلم علي أهمية اللغة في أدوات المفسر لأن ا لقرآن عربي،ولا يمكن أن يفسره ويبين معانيه من حرم نعمة الغوص في العربية والوقوف علي قواعدها فاللغة العربية هي الآلة التي لا يفهم القرآن إلا بها:چڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گ گ ڑ چ[7]، وقال تعالى:چڈ ڈ ژ ژ ڑ چ[8].

واللغة التي يحتج بها ما كانت زمن الاحتجاج. ويتوقف فهم القرآن على شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع، قال مجاهد –رحمه الله–:"لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالِمًا بلغات العرب" [9]

(١) الفرقان: ٧٤
(٢) مجالس التذكير ص: 239،أخرجه البخاري في صحيحه كِتَاب بَدْء الْوَحِي. باب الِاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.2654/6ح 6846.تفسير الطبري 53/19
(٣)الإسراء: ٣٩
(٤) مجالس التذكير ص: 111،وينقل ابن باديس نفس الأثر من طريق ابن وهب قال:سمعت مالك بن أنس يقول:.. وذكره ص:291
(٥) مجالس التذكير ص:339
(٦) مجالس التذكير ص:338
(٧) إبراهيم: ٤
(٨) الشعراء: ١٩٥
(٩) البرهان في علوم القرآن،292/1 للزركشي .

وقال الإمام مالك –رحمه الله–:"أَلَا أُوتَى بِرَجُلٍ غَيْرِ عَالِمٍ بِلُغَاتِ الْعَرَبِ يُفَسِّرُ ذَلِكَ إِلَّا جَعَلْتُهُ نَكَالًا "[١].

والمعاني تختلف باختلاف الإعراب، ومن هنا مست الحاجة إلى اعتبار علم النحو. والتصريف الذي تُعرف به الأبنية، والكلمة المبهمة يتضح معناها بمصادرها ومشتقاتها. وخواص تركيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، ومن حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها. ثم من ناحية وجوه تحسين الكلام –وهي علوم البلاغة الثلاثة:المعاني والبيان والبديع– من أعظم أركان المفسِّر. إذ لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وإنما يُدرك الإعجاز بهذه العلوم[٢]

وقال أبو حيان الأندلسي –رحمه الله–:في معرض ذكره لما ينبغي أن يحيط به المفسر:" فاعلم أنه لا يرتقي من علم التفسير ذروته، ولا يمتطي منه صهوته، إلا من كان متبحراً في علم اللسان ، مترقياً منه إلى رتبة الإحسان ".[٣]

فهذه النقول ومعانيها لم تكن غائبة عن الشيخ بن باديس–رحمه الله– الذي طالما نادي في المسلمين عامة،وفي الجزائريي ن خاصة بحمل لواء العربية المعبرة عن الديانة والهوية في مواجهة الحملات التغريبية الفرنسية،فقد كان –رحمه الله– من المتبحرين في العربية بشهادة الأقران،وقلما تجد شهادة من الأقران تماثل ما شهد به البشير الإبراهيمي–رحمه الله– للشيخ ابن باديس إذ يصف الشيخ البشير الإبراهيمي ابن باديس بأنه "صاحب ذوق خاص في فهم القرآن كأنه حاسة زائدة خص بها. يرفده–بعد الذكاء المشرق، والقريحة الوقّادة، والبصيرة الناقدة–بيان ناصع،وذراع فسيح في العلوم النفسية والكونية، وباع مديد في علم الاجتماع، ورأي سديد في عوارضه وأمراضه. يمد ذلك كله شجاعة في الرأي، وشجاعة في القول، لم يرزقهما إلاّ الأفذاذ المعدودون في البشر.[٤]

ويصفه في موطن آخر بأنه صاحب ملكة بيانية راسخة، وسعة اطلاع علي السنة،وتفقه فيها،وغوص علي أسرارها. يمد ذلك كله قوة خطابية قليلة النظير.وقلم كاتب لا تقل له شباه.[٥]

---

(١) شعب الإيمان، 425/2رقم2287 للبيهقي.
(٢) الإتقان في علوم القرآن،474/2، مباحث في علوم القرآن 342/1د/مناع القطان
(٣) تفسير البحر المحيط، 109/1
(٤) مجالس التذكير ص:19–20
(٥) جريدة الشهاب14/4ربيع الثاني وجمادي الأولي 1357هـ–1938م

بل تجد الشيخ رحمه الله يبين المنهج الذي يسير عليه في تفسيره مبرزاً أهمية العربية وعلومها في تفسير كلام الله تعالي إذ يقول "لا شك أن اللغة العربية أداة أساسية لفهم القرآن الكريم إذ هي لغته التي بها نزل" (١)

ويقول في موطن آخر «علي عادتنا في تفسير الألفاظ بأرجح معانيها اللغوية، وحمل التراكيب على أبلغ أساليبها البيانية»(٢)

والشيخ رحمه الله لا يترك موطناً يدل علي رفعة قدر اللغة العربية وما فيها من الخصائص المميزة لها إلا وينبه عليه ففي قول الله تعالي چڤ‌ڦڦچچچچچچچچ چچ چچچچڍڍچ(٣) قال فمن حكمة اللغة العربية الشريفة، أن سمت أصوات الحيوانات نطقاً، كما سمَّت –في المتعارف– اللفظ الذي يعبر به عما في الضمير نطقاً، لأن الأصوات لغير الإنسان تقوم مقام الألفاظ للإنسان، فهي طريق تفاهمها وطريق فهم ما يمكن للإنسان فهمه عنها. فلله هذه اللغة ما أعمق غورها! وما أدق تعبيرها. (٤)

ولقد كانت طريقة الشيخ ابن باديس في استخدا م العربية أثناء التفسير وسطاً بين الإيجاز المخل، والإطناب الممل فلم يجره ما كان عليه من التبحر في العربية إلي إغراق التفسير بالمشكلات اللفظية،أو الإطناب في المسائل الخلافية كما فعل كثير من المفسرين الذين صبغو ا تفاسيرهم للقرآن بلباس اللغة حتى أوشكوا أن يُوهموا الناظر في تفاسيرهم أنها كتب تقعد قواعد العربية،وليس لها أي علاقة بالتفسير من قريب أو بعيد،ولذلك وجدنا الشيخ ابن باديس يُتبع اللفظ ببيان معناه،وربما وجد في ذكر الإعراب معني جديد، وقد يستشه د بديوان العرب من الأشعار ،ويتحف القارئ بين الحين والحين بالنماذج البلاغية مابين مجاز وكناية واستعارة وغيرها،ولا يفوته ذكر الاشتقاق والفروق بين الألفاظ،وهو ينقل عن أئمة اللغة كالجوهري وأبي البقاء وكذلك يأخذ من لسان العرب لبيان المعاني وإليك –أيها القارئ– الكريم نماذج علي ما ذكرناه مجملاً

**أمثلة لكيفية شرحه للمفردات**:

---

(١) ابن باديس حياته وآثاره 128/4نقلاً عن الإمام عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة ص:238

(٢) مجالس التذكير ص:41

(٣) النمل: ١٦

(٤) مجالس التذكير ص:257

يقول عند تفسيره لقول الله تعالي چئو ئو ئو ئو ئۇ ئۇئې ئې ئې ئى ئى ئد ى ى ي ي ئج چ[1](القفو):إتباع الأثر، تقول قفوته أقفوه، إذا اتبعت أثره. والمتبع لأثر شخص موال في سيره لناحية قفاه؛ فهو يتبعه دون علم بوجهة ذهابه، ولا نهاية سيره. فالقفو: إتباع عن غير علم، فهو أخص من مطلق الإتباع، ولذلك اختيرت مادته هنا.

ومن ذلك ما قاله عند تفسير قول الله تعالي چڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ چ[2] قال:(تبارك)مادة"ب ر ك"كلها ترجع إلي معني الثبوت،منها:بروك الإبل، استناختها،والبركة كالقربة مث ل الحوض يثبت فيها الماء، والبراكاء الثبات في الحرب،ومنها البركة بمعني النماء والزيادة،ولا ينمو ويزيد إلا ما كان ثابت الأصل، وشان ثابت الأصل أن ينمو ويزيد،فلم تخرج عن معني الثبوت؛ وتبارك من البركة فمعناه تزايد خيره

وقال عن معني (نزل) مادة"ن ز ل"كلها ترجع إلي معني الهبوط من عل، والحلول في أسفل.ونزَّل المضاعف أبلغ في المعني من أنزل،وقد يفيد كثرة النزول كما هنا؛لأنه نزل مفرقا علي نيف وعشرين سنة،وقد يفيد القوة في نزول واحد

وقال عن معني(نذيراً)مادة"ن ذ ر"كلها ترجع إلي الإعلام والتحتيم،فمنها نذر علي نفسه الصوم أوجبه وحتمه وأعلم به،ونذر بالعدو كفرح علم به وأنذره، أعلمه؛ولا يستعمل إلا في إبلاغ ما فيه تخويف،فهو إعلام بتأكيد وتحتيم. ونذير هنا بمعني منذر من فعيل بمعني مفعل.[3]

ومن الأمور المهمة التي لابد أن يتنبها إليها القارئ لمجالس ابن باديس هو أنه كان يعتمد علي السنة في ترجيح ما يراه راجحاً من دلالات المعاني اللغوية ففي قول الله تعالي چڤ ڤ ڤچ[4]قال: (الإرث) انتقال ما كان للميت إلى الحي، فيقوم فيه الوارث مقام الموروث، سواء أكان مالاً أو ملكاً أو علماً أو مجداً. والمراد هنا الملك والنبوة . وذلك لأن من ميزة الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – أنهم

(١) الإسراء: ٣٦، مجالس التذكير ص:99
(٢) الفرقان: ١
(٣) مجالس التذكير ص:153 ولمزيد من هذه الأمثلة يراجع:ص: 58،190،62
(٤) النمل: ١٦

يخرجون من الدنيا دون أن يعلقوا بشيء منها، فلا يورثون ديناراً ولا درهماً وإنما يورثون العلم. وفي الصحيح "إنا معاشر الأنبياء لاَ نُورَثُ، مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ (١).
فلم يرث سليمان من داود مالاً، وإنما ورث ما نوه به من العلم والملك، وما دل عليه ذلك من النبوة، وقد خصصه الله بذلك دون بقية إخوته.(٢)
وقال في تفسيره لقول الله تعالي ﭽﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ(٣) قال:لفظ التهجد يفيد ترك النوم للعبادة،فيشمل تركه كله أوبعضه: بأن لم ينم أصلاً.أو لم ينم أولاً ثم رقد. لكن ثبت أن النبي ﷺ كان ينام ثم يقوم (٤)، فبينت السنة العملية أن التهجد المطلوب هو القيام بعد النوم.(٥)

**اهتمامه بذكر وجوه الإعراب والتصريف**

والسبب في هذا الاهتمام كما لا يخفي علي فطن لبيب هو ما يمنحه الوجه الإعرابي من معانٍ جديدةٍ قد تزيل اللبس في مواطن عدة في فهم آيات الكتاب العزيز ففي قول الله تعالي ﭽﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ(٦)قال:وقدم المفعول، وهو " ﯓ"رداً علي من يعتقد أن الله تعالي يمد بعضاً دون بعض،وفيه إيجاز بالحذف،والأصل كلا الفريقين:يعني فريق مريدي العاجلة، ومريدي الآخرة.(٧)
وفي قول الله تعالي ﭽﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ(٨) قال(ﯧ)ملازماً، وأصل اللزام مصدر لازم واختير هنا للتنبيه علي أن بين المكذبين والعذاب ملازمة من الطرفين:فهم بتكذيبهم قد ألزموا أنفسهم العذاب فلازمهم العذاب. وجواب(ﯜ)محذوف لدلالة ما تقدم،وتقدير الكلام:لولاء دعاؤكم ماعبأ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كِتَاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ بَاب قَوْلِ النبي ﷺ لَا نُورَثُ ما تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ 1379/3ح 1758
(٢) مجالس التذكير ص:255–256 بتصرف
(٣) الإسراء: ٧٩
(٤)أخرجه البخاري أبواب التهجد، بَابُ مَنْ نَامَ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَأَحْيَا آخِرَهُ385/1ح1095
(٥) مجالس التذكير ص:138
(٦) الإسراء: ٢٠
(٧) مجالس التذكير ص:58
(٨) الفرقان: ٧٧

بكم. وجملة( ئا ئه )واقعة موقع التعليل لكلام مقدر تقديره–والله أعلم–:لا يعبا بكم فقد كذبتم،أي لأنكم قد كذبتم،فالفاء تعليلية.وأما جملة ( ئه ئو )فمتسببة عما قبلها، فالفاء فيها سببية.وضمير (ئو)عائد علي العذاب المفهوم من المقام.(١)

فأنت تراه طوف بك في معاني جديدة يمكن أن تفهم من الآية بهذه الجملة القيمة من التوجيهات اللغوية.بل إن باديس لا يكتفي بالنقل عن أئمة اللغة بل إنه قد يرجح خلاف ما قالوا موجهاً سبب الترجيح .

فعند تفسيره لقوله تعالي چٺٺٺٿٿٿٿٹٹٹٹڤڤڤڤڦڦڦڦچ(٢)قال (ڤ) بدل من( ٿ) بدل كل من كل.قال الخليل لأن مضاعفة العذاب هي لقي الآثام.

وعندي أنه بدل بعض من كل،لان لقي العذاب علي تلك الآثام يكون في الدنيا والآخرة،وبهذا تكون الآية قد أفادت أن المرتكب لما تقدم من المعاصي–الشرك وقتل النفس والزنا–ينال جزاءه دنيا،وأخري،وعذاب الآخرة المضاعف المستمر أشد وأبقي.(٣)

وعند تفسيره لقول الله تعالي چۀۀہہہہھھھھےےۓۓڭڭڭڭۇۇۆۆۈۈۋچ(٤)

قال:( ہہھ) ألهمني شكر نعمتك. وتحقيقه في اللغة والتصريف، أنك تقول وزعت الشيء، أي كففته وأوزعني الله الشيء، أي جعلني أزع ذلك الشيء أي أكفه. كما يقول ركبت الفرس وأركبني زيد الفرس، أي جعلني أركبه، فأوزعني شكر نعمتك: أي اجعلني أزع أي أكف شكر نعمتك، أي أمنعه من أن يذهب عني وينفلت مني، فالمقصود: اجعلني ملازماً لشكرك فلا أنفك لك شاكراً. (٥) والأمثلة علي هذا النوع كثيرة.

**عنايته بالجانب البلاغي**

يُحسن ويُبدع الشيخ ابن باديس في سوقه للنكات البلاغية والمحسنات اللفظية وذكر المجاز والكناية واستعمال الصور التشبيهية وهو إذ يفعل ذلك لا يضعها في غير موضعها،بل يوفق في استعمال علوم البلاغة في مواطنها زيادة في البيان للآية

(١) مجالس التذكير ص:244 للمزيد يراجع ص:225،217،147،60،56،49 وغيرها
(٢) الفرقان: ٦٨ – ٦٩
(٣) مجالس التذكير ص:223
(٤) النمل: ١٩
(٥) مجالس التذكير ص:263

التي يفسرها،ففي قول الله تعالي چٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ چ[1]يجري الشيخ استعارة بليغة وقعت في الآية مفادها كما قال(شبهت حالة وهيئة البخيل الذي لا يكاد يرشح بشئ،ولا يقدر لبخل ه علي إخراج شئ من ماله،بحالة وهيئة الذي جعل يده مغلولة مجموعة بغل إلي عنقه: فذاك لا تتوجه نفسه للبذل،ولا تمتد يده للعطاء،وهذا لا تمتد يده للتصرف. ونقل الكلام المركب الدال علي المشبه به،فاستعمل في المشبه علي طريق الاستعارة التمثيلية لتقبيح حالة البخيل.[2]

ومن قبيل الاستعارة أيضاً ما ذكره عند قول الله چڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ چ[3]فشبه الولد في سعيه وحنوه وعطفه على والديه بالطائر في ذلك كله على فراخه،وحذف المشبه به، وأشير إليه بلازمه وهو خفض الجناح لأن الطائر هو ذو الجناح،وإنما يخفض جناحه حنواً وعطفاً وحياطة لفراخه فيكون في الكلام استعارة بالكناية[4].

ومن الكناية ما ذكره عند تفسير قول الله تعالي چٹٹۀۀہہھھےےۓچ[5]

قال(ھ) تركيب كنائي فإذا كانت القرة من القر فهو كناية عن السرور ....وإذا كانت القرة من القرور،فهي كناية عن سكون النفس بحصولها علي ما يرضيها من الأزواج والذرية.[6]

## اهتمامه بالشواهد الشعرية

يأتي اهتمام الشيخ بالشعر لربط المعني المسوق بديوان العرب فهو قد يسوق أحياناً بيتاً من الشعر يؤيّد الرأي الذي يرجحه، ومن استدلاله بالشعر قوله: والأوابون في قوله تعالى چئائائۀچ[7]هم الكثير، والرجوع إلى الله تعالى، والأوبة في كلام العرب هي الرجوع

(١) الإسراء: ٢٩
(٢) مجالس التذكير ص:84
(٣) الإسراء:24
(٤) مجالس التذكير ص:70
(٥) الفرقان: ٧٤
(٦) مجالس التذكير ص:236-237 وللمزيد راجع ص:47، 100،230، 385
(٧) الإسراء : 25

قال عبيد [1]: وكُلُّ ذِي غيبَةٍ يَئُوبُ ... وغَائِبُ المَوتِ لا يَئُوبُ [2]
وقال في توجيه النصب في قوله تعالي ﭽﯾﯿﯽﯾﭼ[3]نصب مرحاً بتمش،لأنه متضمن له تضمن الكلي لجزئيه ؛ إذ المرح جزئي من جزئيات المشي،فكأنه قال:لا تمرح مرحاً.ونظيره قول الشاعر:

يُعْجبُهُ السَّخُونُ والبَرُودُ *
والتَّمْرُ، حُبًّا ما لَهُ مَزِيدُ [4]

ويقول عند تفسير قوله تعالي ﭽﭫﭬﭭﭼ[5]يخلد يبقي. وطول البقاء يسمي خلود.كما قالت العرب في أثافي الصخور:خوالد، لطول بقائها بعد دروس الأطلال لا لدوام بقائها؛إذ لا دوام لها.

وعلي هذا قول المُخَبَّلُ السعدي[6]:

إلاّ رَماداً هامِداً دَفَعَتْ... عنه الرياحَ خَوالِدٌ سُحُمُ[7]

وغير ذلك من الأمثلة[8]

## المطلب الخامس: موقفه من الفقه والأصول

(١) هو عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم بن عامر بن مرّ بن مالك بن الحارث ،من مضر.الأسدي، شاعر، من دهاة الجاهلية وحكمائها.وهو أحد أصحاب"المجمهرات" المعدودة طبقة ثانية عن المعلقات.عاصر أمرأ القيس، وله معه مناظرات ومناقضات. وعمر طويلاً حتى قتله النعمان بن المنذر وقد وفد عليه في يوم بؤسه ت(25 ق.هـ/598م ) الأعلام 188/4، انظر اللسان (1: 213). ديوان عبيد بن الأبرص، دار صادر، بيروت.

(٢) مجالس التذكير: ص:76

(٣) الإسراء: ٣٧

(٤) مجالس التذكير ص:108

(٥) الفرقان: ٦٩

(٦) هو ربيع بن مالك بن ربيعة بن عوف السعدي، أبو يزيد، من بني أنف الناقة، من تميم: شاعر فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام. هاجر إلى البصرة، وعمر طويلاً، ومات في خلافة عمر أو عثمان ، وكان يمدح بني قريع ،ويذكر أيام بني سعد (قبيلته) الأعلام 15/3

(٧) مجالس التذكير ص: 222–223 ومعني البيت الخلد: دوام البقاء . تقول: خلد الرجل يخلد خلودا. وأخلده الله وخلده تخليدا. وقيل لأثافي الصخور: خوالد، لبقائها بعد دروس الأطلال. راجع:الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية 469/2 الجوهري

(٨) مجالس التذكير ص:99،47، 137،117، 237، 320،279 ،378

يمكن لنا من خلال تدارسنا لمجالس التذكير أن نكون رأينا في شخصية الشيخ ابن باديس الفقيه الأصولي غير مبالغين في نعته بهذين الوصفين،فالمسائل التي تعرض لبيانها في الفقه والأصول تخبرك بحقيقة ما رزقه الله من التبحر في علم الفقه،واطلاعه علي أدلة المخالفين مع ملكة في الموازنة والترجيح، ويضاف إلي ذلك إنصاف وأدب جم عند الرد علي المخالفين، ولأن طبيعة المجالس لا تحتمل الإفاضة في ذكر كل ما قيل في مسألة ما، تجده يجمع لك شتات الأقوال في عبارات مختصرة من غير إخلال.

فمثلاً عند قول الله تعالي چچچچڇڇڇڇڍڍڌڌڎڎڈڈژژچ[1] طرح سؤالاً قال فيه:هل كان قيام الليل فرضاً عليه–صلي الله عليه وآله وسلم–دون أمته بمقتضي قوله تعالي(چ ڍ)؟ ثم أخذ يحرر المسألة ويجيب عن السؤال تاركاً بصمة له تمثلت في ترجيحه لما رآه راجحاً بالدليل

قال:قد ذهب إلي هذا–يعني فرض قيام الليل– جماعة كثيرة من أهل العلم سلفاً وخلفاً. ثم ساق جملة الحجج التي ترد علي هذا القول

ثانيا:أن قيام الليل تطوع ونفل في حقه وحق أمته

م يقول بعد عرض الآراء ومناقشتها مناقشة علمية قيمة:(وإذا تأملت في هذا البحث الذي سقناه أدركت أن القول بعدم الخصوصية هو الراجح، فالآي ة حث وترغيب علي قيام الليل للعموم، ووعد له صلي الله عليه وآله وسلم بالمقام المحمود.[2]

---

(١) الإسراء: ٧٩

(٢) مجالس التذكير ص:139–140،

اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ، هَل كَانَ فَرْضًا عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ أَوْ لَمْ يَكُنْ فَرْضًا، مَعَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى عَدَمِ فَرْضِيَّتِهِ عَلَى الأُمَّةِ. فَذَهَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ إِلَى أَنَّ رَسُول اللَّهِ ﷺ قَدِ اخْتُصَّ بِافْتِرَاضِ قِيَامِ اللَّيْلِ عَلَيْهِ، وَتَابَعَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَلَى ذَلِكَ = =كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، مِنْهُمُ الشَّافِعِيُّ فِي أَحَدِ قَوْلَيْهِ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ، وَرَجَّحَهُ الطَّبَرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ. وَاسْتَدَل عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الإِسْرَاءِ :{ وَمِنَ اللَّيْل فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ } أَيْ نَفْلاً لَكَ ،أَيْ فَضْلاً :( زِيَادَةً )عَنْ فَرَائِضِكَ الَّتِي فَرَضْتُهَا عَلَيْكَ ، كَمَا يَدُل عَلَى ذَلِكَ قَوْله تَعَالَى :(قُمِ اللَّيْل إِلاَّ قَلِيلاً نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً أَوْ زِدْ عَلَيْهِ )سورة المزمل(2– 4)

قَال الطَّبَرِيُّ :"خَيَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ حِينَ فَرَضَ عَلَيْهِ قِيَامَ اللَّيْل بَيْنَ هَذِهِ الْمَنَازِل ". وَيُعَضِّدُ هَذَا وَيُؤَيِّدُهُ مَا رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الأَوْسَطِ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي سُنَنِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُول اللَّهِ ﷺ قَال : ثَلاَثٌ هُنَّ عَلَيَّ فَرَائِضُ وَلَكُمْ سُنَّةٌ ، الْوِتْرُ

وفي قول الله تعالي چٱبببپپپپڀڀڀڀچ[1] تكلم عن حكم تولي المرأة الإمارة فقال تحت عنوان

**ولاية المرأة الملك**:

(ثبت عن النّبيّ ﷺ أنهَ قَالَ :"لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلّوْا أَمْرَهُمْ امْرَأَةً"[2] قاله لما بلغه أن الفرس مَلَّكُوا عليهم امرأة؛ فاقتض ي هذا ألا تلي المرأة ولاية، ولا إمارة، ولا قضاء.وأيدت هذا النص الصحيح السنة العملية، فأخذ به جمهور أئمة الإسلام،وجاءت روايات عليلة عن بعضهم،لم يلتفت إليها،ولم يعمل بها.) ثم يبدي الشيخ ابن باديس رأيه في هذه المسألة معللاً وموجهاً قوله عند عنوان

**تعليل**:

(لا تصلح المرأة للولاية.من ناحية خلقتها النفسية، فق د أعطت من الرقة والعطف والرأفة ما أضعف فيها الحزم والصرامة اللازمين للولاية

وفي اشتغالها بالولاية إخلال بوظيفتها الطبيعية الاجتماعية التي لا يقوم مقامها فيها

---

وَالسِّوَاكُ وَقِيَامُ اللَّيْل .(قلت: وحديث عائشة رضي الله عنها " قال عنه ابن حجر في تلخيص الحبير 120/3:هُوَ ضَعِيفٌ جِدًّا لِأَنَّهُ مِنْ رِوَايَةِ مُوسَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الصَّنْعَانِيِّ ، قال عنه الذهبي في الميزان: معروف ليس بثقة .وقال ابن حبان فيه : دجال، وضع على ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس كتاب التفسير . وقال ابن عدي : منكر الحديث .وقال عن بعض مروياته : هذه الأحاديث بواطيل . ينظر : ميزان الاعتدال 549/6، ترجمة 8898، المغني 684/2، الكشف الحثيث 793.)

وَذَهَبَ مُجَاهِدُ بْنُ جَبْرٍ إِلَى أَنَّ قِيَامَ اللَّيْل لَيْسَ بِفَرْضٍ عَلَى رَسُول اللَّهِ ﷺ بَل هُوَ نَافِلَةٌ ، وَإِنَّمَا قَال اللَّهُ تَعَالَى:{نَافِلَةً لَكَ} مِنْ أَجْل أَنَّهُ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، فَمَا عَمِل مَنْ عَمَلٍ سِوَى الْمَكْتُوبَةِ فَهُوَ نَافِلَةٌ ؛ لِأَنَّهُ لاَ يَعْمَل ذَلِكَ فِي كَفَّارَةِ الذُّنُوبِ ، فَهِيَ نَافِلَةٌ وَزِيَادَةٌ ، وَالنَّاسُ يَعْمَلُونَ مَا سِوَى الْمَكْتُوبَةِ لِتَكْفِيرِ ذُنُوبِهِمْ فَلَيْسَ لِلنَّاسِ – فِي الْحَقِيقَةِ – نَوَافِل .

وَتَبِعَ مُجَاهِدًا جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، مِنْهُمُ الشَّافِعِيُّ فِي قَوْلِهِ الْآخَرِ، فَقَدْ نَصَّ عَلَى أَنَّ وُجُوبَ قِيَامِ اللَّيْل قَدْ نُسِخَ فِي حَقِّ رَسُول اللَّهِ ﷺ كَمَا نُسِخَ فِي حَقِّ غَيْرِهِ. وَاسْتَدَلُّوا عَلَى ذَلِكَ بِعُمُومِ قَوْلِهِ ﷺ: خَمْسُ صَلَوَاتٍ فَرَضَهُنَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ.( أخرجه مسلم في كتاب الإيمان–باب فِى بَيَانِ الإِيمَانِ بِاللَّهِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ ).،خَاصَّةً أَنَّ الْآيَةَ مُحْتَمِلَةٌ، وَالْحَدِيثُ الَّذِي اسْتَدَل بِهِ مَنْ قَال بِفَرْضِيَّةِ قِيَامِ اللَّيْل عَلَى رَسُول اللَّهِ ﷺ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ.يراجع :تفسير ابن كثير 103/5،وتفسير الطبري425/17، وتفسيرالقرطبي308/10، وأحكام القرآن للجصاص 32/5. شرح الزرقاني على خليل 156/3، وروضة الطالبين 3/7، أحكام القرآن للشافعي 56/1

(١) النمل: ٢٣

(٢)أخرجه البخاري كِتَاب الْمَغَازِي بَاب كِتَابِ النبيﷺإلى كِسْرَى وَقَيْصَرَ 1610/4ح4163

سواها وهي القيام علي مملكة البيت، وتدبي ر شؤونه، وحفـظ النسل، بالاعتنا ء بالحمل والولادة وتربية الأولاد.)ثم يسوق ما عساه أن يحتج به المخالف فيذكر الاعتراض وجوابه فيقول:

**دفع اعتراض**:

في تواريخ الأمم نساء تولين الملك، ومن المشهورات في الأمم الإسلامية: شجرة الدر في العصر الأيوبي، ومنه ن من قضت آخر حياتها في الملك، وازده ر ملك قومها في عهدها.فما معني نفي الفلاح عمن ولوا أمرهم امرأة؟

هذا اعتراض بأمر واقع، ولكنه لا يرد علينا.لأن الفلاح المنفي هو فلاح في لسان الشرع . وهو تحصيل خير الدنيا والآخرة،ولا يلزم من ازدهار الملك أن يكون القوم في مراضاة الله،ومن لم يكن في طاعة الله فليس من المفلحين،ولو كان في أحسن حال فيما يبدو من أمر دنياه.علي أن أكثر من ولوا أمرهم امرأة من الأمم إذا قابلتها مثلهم، كانت عاقبتهم أن يغلبوا.[1]

ومن الأمور التي تفرد بها في بعض المسائل الفقهية وذهب إلي قول لم يسبق إليه –كما قال– عند تفسيره لقول الله تعالي ﭽﯞ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ

(١) مجالس التذكير ص:273-274 =

= قال ابن العربي –رحمه الله– :رُوِيَ فِي الصَّحِيحِ { عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ كِسْرَى لَمَّا مَاتَ وَلَّى قَوْمُهُ بِنْتَهُ : لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمْ امْرَأَةً } .وَهَذَا نَصٌّ فِي أَنَّ الْمَرْأَةَ لَا تَكُونُ خَلِيفَةً، وَلَا خِلَافَ فِيهِ.

وَنُقِلَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ إمَامِ الدِّينِ أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْمَرْأَةُ قَاضِيَةً ؛ وَلَمْ يَصِحَّ ذَلِكَ عَنْهُ ؛ وَلَعَلَّهُ كَمَا نُقِلَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّهَا إنَّمَا تَقْضِي فِيمَا تَشْهَدُ فِيهِ ، وَلَيْسَ بِأَنْ تَكُونَ قَاضِيَةً عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَلَا بِأَنْ يُكْتَبَ لَهَا مَنْشُورٌ بِأَنَّ فُلَانَةَ مُقَدَّمَةٌ عَلَى الْحُكْمِ ، إلَّا فِي الدِّمَاءِ وَالنِّكَاحِ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ كَسَبِيلِ التَّحْكِيمِ أَوْ الِاسْتِبَانَةِ فِي الْقَضِيَّةِ الْوَاحِدَةِ ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ ﷺ : { لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمْ امْرَأَةً } . =

= وَهَذَا هُوَ الظَّنُّ بِأَبِي حَنِيفَةَ وَابْنِ جَرِيرٍ .

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ قَدَّمَ امْرَأَةً عَلَى حِسْبَةِ السُّوقِ ، وَلَمْ يَصِحَّ ؛ فَلَا تَلْتَفِتُوا إلَيْهِ ؛ فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ دَسَائِسِ الْمُبْتَدِعَةِ فِي الْأَحَادِيثِ . أحكام القرآن لابن العربي 482/3 .

قال الشوكاني –رحمه الله– : قَوْلُهُ لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ الخ فيه دَلِيلٌ على أَنَّ الْمَرْأَةَ لَيْسَتْ من أَهْلِ الْوِلايَاتِ ،وَلا يَحِلُّ لِقَوْمٍ تَوْلِيَتُهَا لِأَنَّ تَجَنُّبَ الْأَمْرِ الْمُوجِبِ لِعَدَمِ الْفَلاحِ وَاجِبٌ.

نيل الأوطار (168/9)، الشوكاني ، الفصل في الملل والأهواء والنحل"( 4 / 129 ).

چ چ چ[1] حيث ذكر قولاً ثالثاً في تفسيرها وقال : ولم أره لأحد، واللفظ يحتمله : أن ميل الشمس يبتدئ بالزوال،وينتهي فيما يرى لنا بالبصر بمغيب الشفق، غير أن ميلها في الزوال والغروب مشاهد بمشاهدة ذاتها، وميلها بعد الغروب مستدل عليه بما يشاهد من أخذ الشفق في المغيب إلى أن يغيب بتمامه، ولا شك أن ذلك نتيجة ميلها من وراء الأفق فالصلوات الأربع على هذا واجبة لدلوك الشمس. وأما غسق الليل:فهو اشتداد ظلمته،وذلك يكون علي أتمه بعد مضي الثلث الأول من الليل؛فيكون غسق الليل بهذا المعني خارجا عن حكم ما قبل؛لأن وقت العشاء ينتهي بانقضاء الثلث الأول،فالأوقات تنتهي عند غسق الليل.[2]

وقد يتعرض الشيخ –رحمه الله– إلي بعض المسائل في أصول الفقه من أمثلة المطلق والمقيد والخاص والعام ففي قول الله تعالي ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ[3]قال ونظيرها أيضا آية ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ[4]غير أن هاتين الآيتين مطلقتان في الشئ المعطي والشخص المعطي له.وآية الإسراء مقيدة بمشيئة الله تعالي وإرادته فيهما، والمطلق محمول علي المقيد في البيان والأحكام.[5]

وتكلم عن مسألة الخاص والعام عند تفسيره لقول الله تعالي ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ[6]،قال :جاء أسلوب هذه الآيات تدرجاً من الخاص إلي العام:فقتل الأولاد قتل للنفس التي حرم الله،والزنا كالقتل للنفس كما قدمناه، وجئ هنا بالنهي الصريح عن قتل النفس،وأكد مقتضي النهي بوصف النفس بقوله: ( ﭼ ﭽ ﭾ)[7]

ومن جملة المسائل التي تعرض لها الإمام ابن باديس في تفسيره مسألة حجية خبر

---

(١) الإسراء: ٧٨
(٢) مجالس التذكير ص:133
(٣) الإسراء: ١٨
(٤) هود: ١٥ – ١٦
(٥) مجالس التذكير ص: 50
(٦) الإسراء: ٣١ – ٣٣
(٧) مجالس التذكير ص:92

الواحد وذلك عند حديثه عن أهل الفترة وأنهم ناجون فعند تفسيره لقول الله تعالي چچ چ چ چ ڍ ڍ ڌ ڌ چ[1]

قال تحت عنوان(استطراد واستنبا ط):لمّا كان العرب لم يأتهم نذير قبل النبي –صلي الله عليه وسلم– بنّص هذه الآية وغيرها،فهم في فترتهم ناجون لقوله تعالي چڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ چ[2]ولقوله چچ چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ چ[3] وغيرهما،وكلّها آيات آيات وقواطع في نجاة أهل الفترة.ولا يستثني من ذلك إلا من جاء فيهم نصّ ثابت خاص كعَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ،وبدَّل في شريعة إبراهيم وغيّر، وحلّل للعرب وحرّم .فأبَوَا النّبيّ ﷺ ناجيان بعموم هذه الأدلّة ، ولا يعارض تلك القواطع حديث مسلم عن أنس رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلاً قَالَ للنبي :يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَ أَبِى؟ قَالَ:"فِي النَّارِ". قَالَ:فَلَمَّا قَفَّا دَعَاهُ فَقَالَ:"إِنَّ أَبِى وَأَبَاكَ فِي النَّارِ".لأنه خبر آحاد فلا يعارض القواطع.وهو قابل للتأويل بحمل الأب علي العمّ مجازاً،يحسنه المشاكلة اللّفظية،ومناسبته لجبر خاطر الرّجل،وذلك من رحمتهﷺ وكريم أخلاقه[4]

ومن خلال النقل السابق يمكن لنا أن نقسم المسائل التي تعرض لها الشيخ ابن باديس–رحمه الله–إلي نقاط

الأولي : حكم أهل الفترة.[5]

---

(١)يس: ٦

(٢) الإسراء: ١٥

(٣) المائدة: ١٩

(٤) مجالس التذكير ص:297

(٥) مذهب جماهير الأمة من سلفها وخلفها، كما نقله الأشعري عن أهل السنة والجماعة واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن حزم وغيرهم من العلماء المحققين أن أهل الفترة يمتحنون في يوم القيامة، وقد ورد في ذلك أحاديث عديدة.
قال الشنقيطي رحمه الله بعد أن تكلم طويلاً في هذه المسألة:الظَّاهِرُ أَنَّ التَّحْقِيقَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الَّتِي هِيَ:هَلْ يَعْذُرُ الْمُشْرِكُونَ بِالْفَتْرَةِ أَوْ لَا ؟هُوَ أَنَّهُمْ مَعْذُورُونَ بِالْفَتْرَةِ فِي الدُّنْيَا،وَأَنَّ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَمْتَحِنُهُمْ بِنَارٍ يَأْمُرُهُمْ بِاقْتِحَامِهَا ، فَمَنِ اقْتَحَمَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَهُوَ الَّذِي كَانَ يُصَدِّقُ الرُّسُلَ لَوْ جَاءَتْهُ فِي الدُّنْيَا ، وَمَنِ امْتَنَعَ دَخَلَ النَّارَ وَعُذِّبَ فِيهَا ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ يُكَذِّبُ الرُّسُلَ لَوْ جَاءَتْهُ فِي الدُّنْيَا ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا كَانُوا عَامِلِينَ لَوْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ.
وَإِنَّمَا قُلْنَا:إِنَّ هَذَا هُوَ التَّحْقِيقُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ لِأَمْرَيْنِ:
الْأَوَّلُ:أَنَّ هَذَا ثَبَتَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَثُبُوتُهُ عَنْهُ نَصٌّ فِي مَحَلِّ النِّزَاعِ ؛ فَلَا وَجْهَ لِلنِّزَاعِ أَلْبَتَّةَ مَعَ ذَلِكَ .

والثانية: أقوال العلماء في مآل والدي النبي ﷺ.[1]
والثالثة: حجية خبر الآحاد. والرأي الذي ارتضاه ابن باديس في مسألة خبر الآحاد هو القول بحجيته في الأحكام والفروع. دون العقائد وهو بهذا الرأي يخالف ما عليه السلف في هذه المسألة،فقد اتفق علماء المسلمين من أهل الحديث وأئمة الفقه وأصحاب الأصول – في القديم والحديث – على أن خبر الواحد حجة في الأحكام والعقائد وغيرهما من أمور الدين والشريعة، يلزم من بلغه العمل به.[2]

---

الْأَمْرُ الثَّانِي :أَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ الْأَدِلَّةِ وَاجِبٌ مَتَى مَا أَمْكَنَ بِلَا خِلَافٍ ؛ لِأَنَّ إعْمَالَ الدَّلِيلَيْنِ أَوْلَى مِنْ إلْغَاءِ أَحَدِهِمَا ، وَلَا وَجْهَ لِلْجَمْعِ بَيْنَ الْأَدِلَّةِ إلَّا هَذَا الْقَوْلُ بِالْعُذْرِ وَالِامْتِحَانِ ، فَمَنْ دَخَلَ النَّارَ فَهُوَ الَّذِي لَمْ يَمْتَثِلْ مَا أَمَرَ بِهِ عِنْدَ ذَلِكَ الِامْتِحَانِ ، وَيَتَّفِقُ بِذَلِكَ جَمِيعُ الْأَدِلَّةِ ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى .ملخصاً من تفسير أضواء البيان مبحث"وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا" 73/3 وما بعدها ،الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح 312/1 ، وانظر مجموع الفتاوى (تفسير سورة الإخلاص ) 308/17،والاعتقاد للبيهقي ص91–92 –واختار هذا القول – و"طريق الهجرتين " "ص 689 وما بعدها "و"تفسير ابن كثير "3/ 35"،وفتح الباري " "3/ 45–46"، و"الفصل في الملل والأهواء والنحل" "4/ 74"

(١) كثرت أقوال العلماء في هذه المسألة ما بين متمسك بنص حديث مسلم والذي يدل دلالة واضحة علي أن والدي النبي صلي الله عليه وسلم في النار، وما بين مؤو ل لظاهر الحديث كما ذهب إليه ابن باديس سالكاً مذهب هؤلاء ،ومذهب آخر يستشهد بأحاديث ضعيفة في أحياء الله عز وجل للأبوين الكريمين فآمنا بالنبي صلي الله عليه وسلم بل ألف بعض = =العلماء في ما رجحه في هذه المسألة مؤلفات أو افرد لها في مؤلفه عدد صفحات، ومباحث مطولة واني مرشد القاري الكريم إلي مظان ما نقلناه ،والحقيقة أن التوقف في المسألة أسلم لأمثالي لا سيما وأنها لا يتوقف عليها معتقد أو تقدح في إيمان المسلم بشئ.
راجع:أدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم في أبوي الرسول عليه الصلاة والسلام –العلامة علي القاري،كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس 61/1، العجلوني،سبل الهدي والرشاد247/1 وما بعدها ،وقد ألف الإمام السيوطي عدد من الرسائل في نجاة أبوي النبي – ﷺ – منها:التعظيم والمنة في أن أبوي النبي ﷺ في الجنة/ = =طبع بحيدر آباد الهند 1317هـ؛ مسالك الحنفا في والدي المصطفى/طبع بحيدر آباد . الهند 1316 هـ. الاصطفا في إيمان أبوي المصطفى/ خزائن أوقاف بغداد 7020؛الدرج المنيفة في الآباء الشريفة / طبع بحيدر آباد . الهند 1317 هـ؛السبل الجلية في الآباء العلية / طبع بحيدر آباد . الهند 1316 هـ.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (321/13)الإحكام في أصول الأحكام( 98/1– 102 – 107 ) وما بعدها، الكفاية في علم الرواية ص ( 72 )،الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة" لابن القيم (362/2) طبعة مكتبة الرياض الحديثة

يقول الإمام ابن عبد البر في التمهيد : وكلهم يرون خبر الواحد العدل في الاعتقادات، ويعادى ويوالي عليها، ويجعلها شرعاً وحكماً وديناً في معتقده، على ذلك جماعة أهل السنة.(١)

وقد ساق علماء الإسلام قديماً وحديثاً أدلة من القرآن والسنة تؤكد حجية خبر الواحد وأنه دال على العلم لا الظن، وعلى هذا جرى عمل أئمة أهل السنة والجماعة محدثين وفقهاء. وقد اشتهر واستفاض بالنقل المتواتر عن النبي ﷺ أنه كان يُنفذ آحاد الصحابة إلى النواحي والقبائل والبلاد بالدعاء للإسلام وتبليغ الأخبار والأحكام وفصل الخصومات وقبض الزكوات ونحو ذلك، ولولم يكن خبر هؤلاء – وهم آحاد – مما تقوم به الحجة ويحصل به البلاغ ويجب به العمل لم يكن في بعثهم فائدة.

وكان يكفي الإمام ابن باديس أن يدعم رأيه في مآل والدي النبي صلي الله عليه وسلم بما ذكره من إلحاقهما بأهل الفترة وأنهما يمتحنان، أو يكتفي بتأويل ظاهر الحديث كما ذهب إليه جماعة،أما أن يرد حديث في أعلي درجات الصحة لمجرد تضمنه ما لا يوافق رأيه في مسألة معينة فهذا لا يصح.

وفي قول الله تعالي ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ (٢) قال:وهذه الآية مأخذ من مآخذ الأصل القائل:إن المخالف للأمر من غير انتهاك للحرمة لا يؤاخذ بتلك المخالفة .ومن فروع هذا الأصل سقوط الكفارة عمن أفطر رمضان متعمداً متأولاً تأويلاً قريبا.(٣)

وقال عند تفسيره لقول الله تعالي ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ (١) ومن الإحسان

---

(١) التمهيد ( 8/1 ) لابن عبد البر

(٢) النمل: ٢٢

(٣) مجالس التذكير ص: 271، من يوجب الكفارة في الفطر بغير الجماع كالمالكية فلا تجب الكفارة عنده في هذه المسألة لأن شرط الكفارة تعمد انتهاك حرمة الشهر وانتفاء التأويل القريب. قال الخرشي في حاشيته على مختصر خليل في الفقه المالكي: الْكَفَّارَةَ الْكُبْرَى تَجِبُ بِشُرُوطٍ خَمْسَةٍ أَوَّلُهَا:الْعَمْدُ ، وَثَانِيهَا الِاخْتِيَارُ فَلَا كَفَّارَةَ عَلَى نَاسٍ ، وَلَا عَلَى مُكْرَهٍ ، وَثَالِثُهَا الِانْتِهَاكُ لِلْحُرْمَةِ فَالْمُتَأَوِّلُ تَأْوِيلًا قَرِيبًا لَا كَفَّارَةَ عَلَيْهِ ، وَرَابِعُهَا أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِحُرْمَةِ الْمُوجِبِ الَّذِي فَعَلَهُ فَلَا كَفَّارَةَ عَلَى جَاهِلٍ وَهُوَ مَنْ لَمْ يَسْتَنِدْ لِشَيْءٍ : كَحَدِيثِ عَهْدٍ بِالْإِسْلَامِ يَظُنُّ أَنَّ الصَّوْمَ لَا يُحَرِّمُ الْجِمَاعَ وَجَامَعَ فَإِنَّهُ لَا كَفَّارَةَ عَلَيْهِ فَالْمُرَادُ بِالْجَهْلِ جَهْلُ حُرْمَةِ الْمُوجِبِ الَّذِي فَعَلَهُ ، وَأَمَّا جَهْلُ وُجُوبِ الْكَفَّارَةِ فِيهِ مَعَ عِلْمِ حُرْمَتِهِ فَلَا يُسْقِطُ عَنْهُ الْكَفَّارَةَ ، وَأَمَّا جَهْلُ رَمَضَانَ فَيُسْقِطُ عَنْهُ الْكَفَّارَةَ اتِّفَاقًا كَمَا إذَا أَفْطَرَ يَوْمَ الشَّكِّ قَبْلَ ثُبُوتِ الصَّوْمِ ، وَخَامِسُهَا كَوْنُهُ

إليهما طاعتهما في الأمر والنهي، ومن عقوقهما مخالفتهما فيهما. وإنما تحل مخالفتهما إذا منعاه من واجب عيني أو أمراه بمعصية. إلي أن قال:هذا لأن القيام عليهما فرض عيني والجهاد كان عليه فرض كفاية ولو تعين عليه ولم يكونا عن كفاية قدم القيام عليهما وكفايتهما عليه. [٢] وفي قوله چژ ژ ڑ چ[٣]قال:وقد حمى الشرع الشريف العباد من هذه الفاحشة بما فرض من الحجاب الشرعي، وهو ستر الحرة ماعدا وجهها وكفيها وجميع ثيابها عند الخروج بالتجلبب ، وبما حرم من تطيب المرأة،وقعقعة حليها عند الخروج،وخلوتها بالأجنبي،واختلاط النساء بالرجال.فتضافر النهي والتشريع علي إبعاد الخلق عن هذه الرزيلة.والمسلم المسلم،من تحري مقتضي هذا النهي،وهذا التشريع في الترك والإبعاد.[٤]

**المقلد والمجتهد**

تعرض الشيخ ابن باديس إلي جملة من المسائل الأصولية كالاجتهاد والتقليد والإفتاء عند تفسيره لقول الله چ ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ی ئج چ[٥]

حيث قال:المقلد في العقائد الذي لا دليل عنده أصلاً، وإنما يقول: سمعت الناس يقولون فقلت. هذا آثم لأتباعه ما ليس له به علم. فأما إذا كان عنده دليل إجمالي كاستدلاله بوجود المخلوق على وجود خالقه فقد خرج من الإثم، لتحصيل هذا الاستدلال له العلم.

والمقلد في الفروع دون علم بأدلتها متبع لمفتيه فيها، يصدق عليه باعتبار الأدلة التي يجهلها أنه متبع ما ليس له به علم، ولكنه له علم من ناحية أخرى وهي علمه بأن التقليد هو حكم الله تعالى في حق مثله من العوام،

**الفرع الثالث**

---

صَوْمَ رَمَضَانَ فَلَا كَفَّارَةَ فِي غَيْرِهِ مِنْ قَضَائِهِ ، أَوْ كَفَّارَةٍ ، أَوْ ظِهَارٍ. الخرشي على مختصر سيدي خليل،252/2،محمد بن عبد الله الخرشي(ت: 1101هـ)

(١) الإسراء: ٢٣

(٢) مجالس التذكير ص:68-69

(٣) الإسراء: ٣٢

(٤) مجالس التذكير ص:92

(٥) الإسراء: ٣٦

المجتهد إذا أفتى مستنداً إلى ما يفيد الظن من أخبار الآحاد، أو الأقيسة أو النصوص الأخرى الظنية الدلالة – هل هو متبع لغير العلم؟

الجواب لا؛ بل هو متبع العلم، وذلك من ثلاثة وجوه:

الأول: أن كل دليل يكون ظنياً بمفرده –يصير يقيناً إذا عرض على كليات الشرع ومقاصده، وشهدت له الصواب، وهذا هو شأن المجتهدين في الأدلة الفردية

الوجه الثاني: أن المجتهد يعتمد في الأخذ بالأدلة الظنية لما له من العلم بالأدلة الشرعية الدالة على اعتبارها.

الوجه الثالث: أن تلك الأدلة بمفردها تفيد الظن القوي، الذي يكون جزماً ويسمى – كما تقدم– علماً، فما اتبع المجتهد إلا العلم

الفرع الرابع: لا تعتمد في إثبات العقائد والأحكام على ما ينسب للنبي ﷺ من الحديث الضعيف؛ لأنه ليس لنا علم به

فإذا كان الحكم ثابتاً بالحديث الصحيح مثل قيام الليل، ثم وجدنا حديثاً في فضل قيام الليل يذكر ثواب عليه مما يرغب فيه –جاز عند الأكثر أن نذكره مع التنبيه على ضعفه الذي لم يكن شديداً على وجه الترغيب.

ولو لم يكن الحكم قد ثبت لما جاز الالتفات إليه، وهذا هو معنى قولهم: (الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال)، أي في ذكر فضائلها المرغبة فيها لا في أصل ثبوتها

فما لم يثبت بالدليل الصحيح في نفسه، لا يثبت بما جاء من الحديث الضعيف في ذكر فضائله، باتفاق من أهل العلم أجمعين.(١)

---

(١) مجالس التذكير ص:104–106، بتصرف،قال ابن العربي: قَالَ عُلَمَاؤُنَا رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ : إنَّ الْمُفْتِيَ بِالتَّقْلِيدِ إذَا خَالَفَ نَصَّ الرِّوَايَةِ فِي نَصِّ النَّازِلَةِ عَمَّنْ قَلَّدَهُ أَنَّهُ مَذْمُومٌ دَاخِلٌ فِي الْآيَةِ ؛ لِأَنَّهُ يَقِيسُ وَيَجْتَهِدُ فِي غَيْرِ مَحَلِّ الِاجْتِهَادِ ،وَإِنَّمَا الِاجْتِهَادُ فِي قَوْلِ اللَّهِ وَقَوْلِ الرَّسُولِ ، لَا فِي قَوْلِ بَشَرٍ بَعْدَهُمَا . أحكام القران لابن العربي3/200.

أَخَذَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ مَنْعَ التَّقْلِيدِ ، قَالُوا : لِأَنَّهُ اتِّبَاعُ غَيْرِ الْعِلْمِ .

قَالَ مُقَيِّدُهُ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ : لَا شَكَّ أَنَّ التَّقْلِيدَ الْأَعْمَى الَّذِي ذَمَّ اللَّهُ بِهِ الْكُفَّارَ فِي آيَاتٍ مِنْ كِتَابِهِ تَدُلُّ هَذِهِ الْآيَةُ وَغَيْرُهَا مِنَ الْآيَاتِ عَلَى مَنْعِهِ ، وَكُفْرِ مُتَّبِعِهِ ؛ كَقَوْلِهِ : وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ [5 \ 104] وَقَوْلِهِ : وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ [5 \ 104] ، وَقَوْلِهِ : وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ

**المطلب السادس: موقف ابن باديس من المسائل العقدية في تفسيره.**

تعرض الإمام ابن باديس إلي عدد غير قليل من المسائل العقدية علي الرغم من صغر حجم المجموع من تفسيره إلا انه أشار إلي جملة من المسائل اكتفي في أكثرها بالتنبيه علي ما فيها من أقوال مرجحاً إتباع منهج سلف الأمة ملتزماً به،غير مكثر من ذكر الأقوال والتفصيلات يعتمد علي ما في القرآن والسنة من بيان ضارباً بأقوال المتكلمين المتفلسفين عرض الحائط ينطلق من قناعة تامة مفادها أن هدي القرآن في الشرائع والعقائد والأحكام هو خير بيان، ويقرر ذلك في أكثر من موطن في كتابه من ذلك قوله (و نحن معشر المسلمين قد كان منّا للقرآن العظيم هجر كثير في الزمان الطويل، وإن كنّا به مؤمنين، بَسَط القرآن عقائد الإيمان كلها بأدلتها العقلية القريبة القاطعة، فهجرناها وقلنا تلك أدلة سمعية لا تُحَصِّل اليقين، فأخذنا في الطرائق الكلامية المعقّدة، وإشكالاتها المتعدّدة، واصطلاحاتها المحدثة، مما يصعب أمرها على الطلبة فضلاً عن العامّة ،وبيّن القرآن أصول الأحكام وأمهات مسائل الحلال والحرام،ووجوه النظر والاعتبار، مع بيان حِكم الأحكام وفوائدها في الصالح الخاص والعام ؛ فهجرنا، واقتصرنا على قراءة الفروع الفقهية مجردة بلا نظر، جافة بلا حكمة،محجبة وراء أسوار من الألفاظ المختصرة،تفني الأعمار قبل الوصول إليها، وبيّن القرآن مكارم الأخلاق ومنافعها ومساوئ الأخلاق ومضارها، وبيّن السبيل للتخلي عن هذه والتحلي بتلك مما يحصل به الفلاح بتزكية النفس،والسلامة من الخيبة بتدسيتها [1] ؛ فهجرنا ذلك كله، ووضعنا أوضاعاً من عند أنفسنا، واصطلاحات من اختراعاتنا، خرجنا في أكثرها عن الحنيفية السمحة

---

[31 \ 21] ، وَقَوْلِهِ : أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ [21 \ 24] ، وَقَوْلِهِ : قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا الْآيَةَ [14 \ 10] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ . أضواء البيان 146/3

(١) الدَّسُّ إدخال الشيء من تحته دَسَّه يَدُسُّه دَسّاً فانْدَسَّ ودَسَّسَه ودَسَّاه، وفي التنزيل العزيز (قد أَفْلَحَ من زَكَّاها وقد خابَ من دَسَّاها) وقيل دَسَّاها جعلها خسيسة قليلة بالعمل الخبيث. لسان العرب لابن منظور دسس 82/6، و( دسي ) نفسه أخفاها وأخملها لؤما مخافة أن يتنبه له فيستضاف وأغواها وأفسدها وغيره أغواه وأفسده المعجم الوسيط 284/1

إلى الغلو والتنطع [١]، وعن السنة البيضاء إلى الأحداث والبدع، وأدخلنا فيها من النسك الأعجمي، والتخيل الفلسفي ما أبعدها غاية البعد عن روح الإسلام، وألقى بين أهلها بذور الشقاق والخصام، وآل الحال بهم إلى الخروج من أثقال أغلالها، والاقتصار على بقية رسومها للانتفاع منها، ومعارضة هداية القرآن بها. [٢]

وقال في معرض ذكر منهاج الخارجين عن منهاج السلف من المتكلمين والمتفلسفين وغيرهم:«قلوبنا معرّضة لخطرات الوسواس، بل للأوهام والشكوك، فالذي يثبّتها ويدفع عنها الاضطراب ويربطها باليقين هو القرآن العظيم، وقد ذهب قوم مع تشكيكات الفلاسفة وفروضهم، ومُماحكات المتكلمين ومناقضاتهم، فما ازدادوا إلاّ شكًّا وما ازدادت قلوبهم إلاّ مرضًا، حتى رجع كثير منهم في أواخر أيامهم إلى عقائد القرآن وأدلّة القرآن، فشفوا بعدما كادوا كإمام الحرمين والفخر الرازي»[٣].

وقال منبهاً إلي طريق الوقوف علي أدلة العقائد والأحكام وأن القرآن لكل ذلك معين وبيان(أدلة العقائد مبسوطة في القرآن العظيم بغاية البيان ونهاية التيسير. وأدلة الأحكام أصولها مذكورة كلها فيه، وبيانها وتفاصيلها في سنة النبي ﷺ الذي أرسل ليبين للناس ما نزل إليهم. .....ولن يجد العامي الأدلة لعقائد سهلة قريبة إلا في كتاب الله، فهو الذي يجب علي أهل العلم أن يرجعوا في تعليم العقائد للمسلمين إليه.أما الإعراض عن أدلة القرآن والذها ب مع أدلة المتكلمين الصعبة ذات العبارات الاصطلاحية، فانهمن الهجر لكتاب الله وتصعيب طريق العلم علي عباده وهم في أشد الحاجة إليه. ومما ينبغي لأهل العلم أيضاً –إذا أفتوا أو أرشدوا– أن يذكروا أدلة القرآن والسنة لفتاويهم ومواعظهم، ليقربوا المسلمين إلى أصل دينهم ويذيقوهم حلاوته، ويعرفوهم منزلته، ويجعلوه منهم دائماً على ذكر، وينيلوهم العلم والحكمة من قريب، ويكون لفتواهم ومواعظهم رسوخ في القلوب، وأثر في النفوس. فإلى القرآن والسنة –أيها العلماء– إن كنتم للخير تريدون.[٤]

(١) التنَطُّع التعمق والغلو والتكلف لما لم يُؤمر بِهِ .غريب الحديث 418/2لابن الجوزي تنطّع في كلامه إذا تفصّح فيه وتعمّق. ورمى بلسانه إلى نطع الفم. أساس البلاغة 639/1

(٢) مجالس التذكير ص:173-174

(٣) مجالس التذكير ص 179-180.

(٤) مجالس التذكير ص105

والمتأمل في هذه العبارات التي نقلناها عن الإمام ابن باديس رحمه الله يدرك الأساس الذي ينطلق منه،والمرجع الذي يئوب إليه انه القرآن ونبع السنة بفهم سلف الأمة لأن ذلك أقرب وأيسر طريق للوقوف علي العقائد والأحكام.

فعندما تعرض لمسألة تارك الصلاة،وهل يكفر بتركها أولا؟ ذكر أن الكفر قسمان بعد أن استعرض أقوال العلماء في المسألة مع الإشارة إلي أدلة كل فريق ولننقل طرفاً من كلامه عند تفسيره لقول الله تعالي ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ﴾[1]

(١) الإسراء: ٧٨

**قال تحت عنوان الأحكام**

(قد قال بكفر تارك الصلاة جماعات كثيرة من الفقهاء والمحدثين سلفاً وخلفاً، مستدلين بحديث جابر [١]،وحديث بريدة [٢]الصريحين في كفره

وذهبت جماعات أخري –كذلك– إلي عدم كفره علي عظم جرمه،مستدلين بحديث عبادة ابن الصامت المتقدم [٣]،الصريح في جعله في المشيئة.والكافر مقطوع له بدخول النار.

ويجيبون عن حديث جابر وبريدة بأن المراد من كفر تارك الصلاة،هو الكفر العملي

والكفر قسمان:اعتقادي وهو الذي يضاد الإيمان.وكفر عملي وهولا يضاد الإيمان، ومنه كفر تارك الصلاة غير المستحل للترك،وكفر من لم يحكم بما أنزل الله كذلك.

وبهذا يجمع بين الحديثين

ثم يعقب قائلاً: وكفي زاجراً للمرء عن ترك الصلاة أن يُختلف في إيمانه هذا الاختلاف. [٤]

---

(١) عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –ﷺ– يَقُولُ« بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاَةِ ».صحيح مسلم كِتَاب الْإِيمَانِ بَاب بَيَانِ إِطْلَاقِ اسْمِ الْكُفْرِ على من تَرَكَ الصَّلَاةَ 88/1ح82

(٢) عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحَصِيبِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –ﷺ– قَالَ:« الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلاَةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ ». أخرجه ابن ماجه،كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ،باب ما جاء فيمن ترك الصلاة ح(1079) ، والترمذي كتاب الإيمان باب ما جاء في ترك الصلاة ح(2621).

(٣)عَن ْعُبَادَةَ بن الصَّامِتِ قال :سمعت رَسُولَ الله ﷺ يقول: خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ الله عز وجل عَلَى الْعِبَادِ فَمَنْ جاء بِهِنَّ لم يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ كان له عِنْدَ الله عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ وَمَنْ لم يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ له عِنْدَ الله عَهْدٌ إن شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ " أخرجه مالك في "الموطأ" كتاب صلاة الليل باب الأمر بالوتر 123/1ح 268 .

(٤) مجالس التذكير ص:135–136.

قال الشوكاني –رحمه الله–: وَلا خِلافَ بين الْمُسْلِمِينَ في كُفْرِ من تَرَكَ الصَّلاةَ مُنْكِرًا لِوُجُوبِهَا إلَّا أَنْ يَكُونَ قَرِيبَ عَهْدٍ بِالْإِسْلامِ أو لم يُخَالِطْ الْمُسْلِمِينَ مُدَّةً يَبْلُغُهُ فيها وُجُوبُ الصَّلاةِ . وَإِنْ كان تَرْكُهُ لها تَكَاسُلًا مع اعْتِقَادِهِ لِوُجُوبِهَا كما هو حَالُ كَثِيرٍ من الناس فَقَدْ اخْتَلَفَ الناس في ذلك فَذَهَبَتْ الْعِتْرَةُ وَالْجَمَاهِيرُ من السَّلَفِ وَالْخَلَفِ منهم مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ إلَى أَنَّهُ لا يَكْفُرُ بَلْ يَفْسُقُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قَتَلْنَاهُ حَدًّا كَالزَّانِي الْمُحْصَنِ وَلَكِنَّهُ يُقْتَلُ بِالسَّيْفِ =

ومن المسائل التي ذكرها ونص فيها علي انتهاج مذهب سلف الأمة مسألة حكم تكفير المعين حيث تعرض لها عند تفسيره لقول الله تعالي چگ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ چ[1] قال:فلا يقطع لأحد بأنه من أهل النار لجهل العاقبة سواء كان من أهل الكفر،أو كان من أهل الفسق،أو كان من أهل الابتداع. كما لا يقطع لأحد بالجنة

---

= وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ من السَّلَفِ إلَى أَنَّهُ يَكْفُرُ وهو مَرْوِيٌّ عن عَلِيِّ بن أبي طَالِبٍ عليه السَّلامُ وهو إحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ عن أَحْمَدَ بن حَنْبَلٍ وَبِهِ قال عبد اللَّهِ بن الْمُبَارَكِ وَإِسْحَاقُ بن رَاهْوَيْهِ وهو وَجْهٌ لِبَعْضِ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ

وَذَهَبَ أبو حَنِيفَةَ وَجَمَاعَةٌ من أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالْمُزَنِيّ صَاحِبُ الشَّافِعِيِّ إلَى أَنَّهُ لا يَكْفُرُ وَلا يُقْتَلُ بَلْ يُعَزَّرُ وَيُحْبَسُ حتى يُصَلِّيَ. نيل الأوطار، 369/1 ،الاستذكار 235/1 ابن عبد البر ، صحيح مسلم بشرح النووي، 70/2 حاشية ابن عابدين 1/ 235 ، الفتاوى الهندية 50/1، حاشية الدسوقي 1/ 189 – 190، ومواهب الجليل 1/ 420 ، مغني المحتاج 1/ 327 ، أسنى المطالب 1/ 366 ، كشاف القناع 1/ 227 .

قال الإمام ابن القيم –رحمه الله–فصل في نوعي الكفر

وها هنا أصل آخر وهو أن الكفر نوعان: كفر عمل، وكفر جحود وعناد، فكفر الجحود أن يكفر بما علم أن الرسول – ﷺ– جاء به من عند الله، جحودًا وعنادًا، من: أسماء الرب، وصفاته، وأفعاله، وأحكامه، التي أصلها توحيده، وعبادته وحده لا شريك له، وهذا مضاد للإيمان من كل وجه.

وأما كفر العمل: فينقسم إلى ما يضاد الإيمان، وإلى ما لا يضاده.فالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف، وقتل النبي وسبه يضاد الإيمان.وأما الحكم بغير ما أنزل الله، وترك الصلاة فهو من الكفر العملي قطعاً، ولا يمكن أن ينفى عنه اسم الكفر بعد أن أطلقه الله ورسوله عليه. فالحاكم بغير ما أنزل الله كافر وتارك الصلاة كافر بنص رسول الله ﷺ ولكن هو كفر عمل لا كفر اعتقاد. ومن الممتنع أن يسمى الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً، ويسمى رسول الله ﷺ تارك الصلاة كافراً ، ولا يطلق عليهما اسم الكفر.

وقد نفى رسول الله ﷺ الإيمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر، وعمن لا يأمن جاره بوائقه. وإذا نفى عنه اسم الإيمان فهو كافر من جهة العمل، وانتفى عنه كفر الجحود والاعتقاد.

وهذا التفصيل هو قول الصحابة الذين هم أعلم الأمة بكتاب الله وبالإسلام والكفر ولوازمهما فلا تتلقى هذه المسألة إلا عنهم، والمتأخرون لم يفهموا مرادهم فانقسموا فريقين فريقاً أخرجوا عن الملة بالكبائر وقضوا على أصحابها بالخلود في النار، وفريقاً جعلوه م مؤمنين كاملي الإيمان فأولئك غلوا وهؤلاء جفوا وهدى الله أهل السنة للطريقة المثلى ، والقول الوسط، الذي هو في المذاهب كالإسلام في الملل، فها هنا كفر دون كفر ونفاق دون نفاق، وشرك دون شرك، وظلم دون ظلم. (الصلاة وحكم تاركها وسياق صلاة النبي من حين كان يكبر إلى أن يفرغ منها(72/2)، مجموع الفتاوى"(254/7)" شيخ الإسلام بن تيمية.

(١) الإسراء: ٥٤

كذلك،إلا من جاء النص بهم

فلا يقال للكافر عند دعوته أو مجادلته:إنك من أهل النار، ولكن تذكر الأدلة علي بطلان الكفر، وسوء عاقبته

ولا يقال للمبتدع: يا ضال، وإنما تبين البدعة وقبحها. ولا يقال لمرتكب الكبيرة:يا فاسق، ولكن يبين قبح تلك الكبيرة وضررها وعظم إثمها. فتقبح القبائح والرذائل في نفسها،وتجتنب أشخاص مرتكبيها.(١)

---

(١) مجالس التذكير ص: 116 ،إن أهل السنة والجماعة يفرّقون بين الأحكام العامة بالكفر ، وبالفسق ، وبالتبديع على وجه العموم ، وبين الحكم على المعين ، فقد نحكم على عمل أو شيء ما بأنه كفر ، ونحكم على مقولة ما من المقولات بأنها كفر ، وهذا لا يعني أن كل من اعتقد أو فعل هذا الكفر يكفر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:«وَحَقِيقَةُ الْأَمْرِ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْقَوْلَ قَدْ يَكُونُ كُفْرًا فَيُطْلَقُ الْقَوْلُ بِتَكْفِيرِ صَاحِبِهِ وَيُقَالُ مَنْ قَالَ كَذَا فَهُوَ كَافِرٌ لَكِنَّ الشَّخْصَ الْمُعَيَّنَ الَّذِي قَالَهُ لَا يُحْكَمُ بِكُفْرِهِ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ الَّتِي يَكْفُرُ تَارِكُهَا .» ا.هـ (مجموع الفتاوى345/23). ما نص عليه الشيخ – رحمه الله– هو معتقد أهل السنة والجماعة خلافاً لأهل البدع والأهواء من المعتزلة والجهمية وغيرهم؛ فإن الخوارج يشهدون بالنار لكل فاسق: كل من ارتكب كبيرة يشهد الخوارج عليه بأنه في النار، وهذا خلاف معتقد أهل السنة والجماعة، و المعتزلة يشهدون لمن مات على الكبيرة أنه في النار، لأنه خرج من الإيمان، ودخل في الكفر، فهذا –أيضاً– يخالف معتقد أهل السنة والجماعة؛ أما أهل السنة والجماعة فيقفون في الشخص المعين، فلا يشهدون له بجنة أو نار إلا عن علم؛ لأن الحقيقة باطنه، وما مات عليه لا نحيط به لكن نرجو للمحسن، ونخاف على المسيء.

قال الإمام أحمد–رحمه الله– ولا نشهد على أهل القبلة بعمل يعمله بجنة ولا نار نرجو للصالح ونخاف عليه ،ونخاف على المسيء المذنب ونرجو له رحمة الله.

أصول السنة،50/1 أحمد بن حنبل

قال الإمام الطحاوي رحمه الله (وَلَا نُنَزِّلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً وَلَا نَارًا، وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلَا بِشِرْكٍ وَلَا بِنِفَاقٍ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى) قال ابن أبي العز شارحاً (يُرِيدُ: أَنَّا لَا نَقُولُ عَنْ أَحَدٍ مُعَيَّنٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَة إنه مِنْ أَهْلِ الْجَنَّة أَوْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، إِلَّا مَنْ أَخْبَرَ الصَّادِقُ ﷺ أنه مِنْ أَهْلِ الْجَنَّة، كَالْعَشَرَة رضي الله عَنْهُمْ. وَإِنْ كُنَّا نَقُولُ: إنه لَا بُدَّ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ مَنْ يَشَاءُ الله إِدْخَالَه النَّارَ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهَا بِشَفَاعَة الشَّافِعِينَ، وَلَكِنَّا نَقِفُ في الشَّخْصِ الْمُعَيَّنِ، فَلَا نَشْهَدُ له بِجَنَّة وَلَا نَارٍ إِلَّا عَنْ عِلْمٍ؛ لِأَنَّ الحَقِيقة بَاطِنَة، وَمَا مَاتَ عليه لَا نُحِيطُ به، لَكِنْ نَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ، وَنَخَافُ على الْمُسِيءِ. الكتاب :شرح العقيدة الطحاوية 370/1، ابن أبي العز الحنفي . =

= وقال الإمام ابن قدامة في "لمعة الاعتقاد:"ولا نجزم لأحد من أهل القبلة بجنة ولا نار ،إلا

ومن المسائل العقدية المهمة التي تعرض لها في تفسيره

المسألة الأولي: مسألة هل يخرج غير الكافر من النار؟

ذكرها عند تفسيره لقول الله تعالي﴿ ﴾ ﴿ ﴾[1]قال:وغير التائب الذي بقي للخلود المطلق في الآية هو المشرك والقاتل والزاني،فأما المشرك فلا خروج له من النار؛لقوله تعالي ﴿ ﴾[2] وأما القاتل والزاني إذا كانا من أهل الإيمان فإنهما يخرجان بعد شديد العذاب بما معهما من الإيمان؛لأحاديث صحيحة.[3]

المسألة الثانية:هل لقاتل النفس ظلماً وعدواناً من توبة؟ ذهب ابن عباس في المشهور عنه [4] الذي رواه الشيخان [1] وغيرهما:أنه لا توبة له.وقال في هذه

---

من شهد له الرسول – ﷺ – لكنا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء" لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، 32/1 ابن قدامة المقدسي، راجع: شرح المقاصد في علم الكلام، 269/2تأليف: سعد الدين التفتازاني.

(١) الفرقان: 70

(٢) النساء: ٤٨

(٣) مجالس التذكير ص: 226.

قال الإمام البغوي رحمه الله: (اتفق أهل السنة على أن المؤمن لا يخرج عن الإيمان بارتكاب شيء من الكبائر إذا لم يعتقد إباحتها، وإذا عمل شيئاً منها، فمات قبل التوبة، لا يخلد في النار، كما جاء به الحديث، بل هو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه بقدر ذنوبه، ثم أدخله الجنة برحمته) شرح السنة للبغوي 103/1

وقال الإمام ابن بطة رحمه الله:(وَقَدْ أَجْمَعَتْ اَلْعُلَمَاءُ –لَا خِلَافَ بَيْنَهُمْ– أَنَّهُ لَا يُكَفَّرُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ اَلْقِبْلَةِ. بِذَنْبٍ وَلَا نُخْرِجُهُ مِنْ اَلْإِسْلَامِ بِمَعْصِيَةٍ نَرْجُو لِلْمُحْسِنِ وَنَخَافُ عَلَى اَلْمُسِيءِ) الشرح والإبانة ص: 265

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله: (ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، ما لم يستحله، ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله) وقال:(وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ فِي النَّارِ لَا يَخْلُدُونَ –أو يُخَلَّدُونَ ،إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ).شرح العقيدة الطحاوية 355/1، 357 ، تأليف:ابن أبي العز الحنفي

(٤) وإنما قال في المشهور عنه لأنه قد نقل عنه –رضي الله عنهما –رواية أخري أفتي فيها بقبول توبة القاتل العمد وَحمل القول المشهور الأول مِنْهُ عَلَى التَّغْلِيظ وَإِنَّمَا أفتَى بذلك لِأَنَّهُ ظن أَن السَّائِل سَأَلَ ليقْتل فَأَرَادَ زَجره عَن ذَلِك.

وَيدل عَلَى ذَلِك مَا رَوَاهُ ابْن أبي شيبَة فِي مُصَنفه فِي كتاب الدِّيات، باب رقم155– فِي تَعْظِيم دَم الْمُؤْمِن. ح28326 عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ : لِمَنْ = =قَتَلَ مُؤْمِنًا تَوْبَةٌ ؟ قَالَ : لاَ ، إِلاَّ النَّارُ ، فَلَمَّا ذَهَبَ قَالَ لَهُ جُلَسَاؤُهُ : مَا هَكَذَا كُنْتَ تُفْتِينَا ،

الآية:إنها نزلت في المشركين، وذك ر سبب نزولها كما تقدم. وقال –إثره–أما من دخل في الإسلام وعقله ثم قتل فلا توبة له.

ثم قال"وذهب جمهور السلف، وأهل السنة:إلي أن للقاتل توبة، ونظروا في هذه الآية إلي عموم لفظها لا إلي خصوص سبب نزولها، وجعلو ا عموم(وَمَنْ يَقْتُلْ) في آية الفرقان مخصصاً بمن تاب،المستثني في هذه الآية.فابن عباس خصص من تاب بمن يقتل، وه م عكسوا فخصصوا من يقتل بمن تاب

ويرجح تخصيصهم العمومات الدالة علي قبول التوبة من كل مذنب مثل قوله تعالي چگ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ چ[٢] وقوله چڑ ڑ ک ک ک ک گ گ چ[٣] وقوله چڤ ڤ ڤ ڤ چ[٤] وحديث:« التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ »[٥] في عمومات كثيرة

---

كُنْتَ تُفْتِينَا أَنَّ لِمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا تَوْبَةٌ مَقْبُولَةٌ ، فَمَا بَالُ الْيَوْمِ ؟ قَالَ: إِنِّي أَحْسِبُهُ رَجُلاً مُغْضَبًا يُرِيدُ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا، قَالَ: فَبَعَثُوا فِي أَثَرِهِ فَوَجَدُوهُ كَذَلِكَ. انْتَهَى.

قال النووي في"شرح مسلم "( 159/18):"وَهَذِهِ الرِّوَايَة الثَّانِيَة –أن له توبة–هِيَ مَذْهَب جَمِيع أَهْل السُّنَّة وَالصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدهمْ. وَمَا رُوِيَ عَنْ بَعْض السَّلَف مِمَّا يُخَالِف هَذَا مَحْمُول عَلَى التَّغْلِيظ وَالتَّحْذِير مِنْ الْقَتْل ، وَالتَّوْرِيَة فِي الْمَنْع مِنْهُ "

وقال القرطبي – بعد ذكر هذه الرواية الثانية –:وهذا مذهب أهل السنة ،وهو الصحيح، وإن هذه الآية مخصوصة، ودليل التخصيص آيات وأخبار. الجامع لأحكام القرآن 5/ 333

(١)الحديث أخرجه البُخَارِيّ فِي صحيحه كتاب التَّفْسِير بَاب قَوْلِهِ{ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ...الآية}عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى{ وَمن يقتل مُؤمنا مُتَعَمدا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ }قَالَ لَا تَوْبَةَ لَهُ . 4/1785ح4487انْتَهَى لفْظ الْبُخَارِيّ،وَمُسلم فِي صحيحه في كتاب التَّفْسِير با ب: 4،1/2318ح 3023

(٢)النساء: ١١٠

(٣)الشورى: ٢٥

(٤) غافر: ٣

(٥)الحديث رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة ح4250، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقال عنه الألباني :(حديث حسن ) انظر صحيح سنن ابن ماجه 418/2 ح3427.

اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي قَبُول تَوْبَةِ قَاتِلِ النَّفْسِ عَمْدًا بِغَيْرِ حَقٍّ .فَذَهَبَ جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ إِلَى أَنَّ = =لِلْقَاتِلِ عَمْدًا ظُلْمًا تَوْبَةً كَسَائِرِ أَصْحَابِ الْكَبَائِرِ ؛ لِلنُّصُوصِ الْخَاصَّةِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ

والظاهر إذا كثرت تفيد القطع.[1]

---

،وَالنُّصُوصِ الْعَامَّةِ الْوَارِدَةِ فِي قَبُولِ تَوْبَةِ كُل النَّاسِ مِنْهَا قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى(وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69)إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (70))سُورَةُ الْفُرْقَانِ آيَةُ:68-70، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى:{ وَمَنْ يَقْتُل مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا } سُورَةُ النِّسَاءِ آيَةُ : 93.،فَيُحْمَل مُطْلَقُ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى مُقَيَّدِ آيَةِ الْفُرْقَانِ ، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ :فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ،إِلاَّ مَنْ تَابَ.وَلِأَنَّ تَوْبَةَ الْكَافِرِ بِدُخُولِهِ إِلَى الْإِسْلاَمِ تُقْبَل بِالْإِجْمَاعِ ، فَتَوْبَةُ الْقَاتِلِ أَوْلَى . الموسوعة الفقهية الكويتية 30/41

(1)مجالس التذكير ص: 227، قال الفخر الرازي –رحمه الله– واعلم أنّا نَقُول [أن] هذه الآيَة مَخْصُوصة في مَوْضِعَيْن :أحدهما:أن يكون القَتْل [العَمْد] غير عُدْوان ؛ كما في القِصَاص ، فإنه لا يَحْصُل فيه هذا الوعِيد أَلْبَتَّة.

والثاني:القتل العَمْد العدْوَان إذا تَاب عنه لا يَحْصُل فيه هذا الوعيد ، وإذا ثبت دُخُول التَّخْصِيص فيه في هاتين الصُّورتَيْن فيدخُلُه التَّخْصيص فنحن نخصص هذا العموم فيما إذا حَصَل العفو فيه ؛ بدليل قوله :{وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآءُ } [النساء : 48]. وأيضاً فهذه الآية إحدى عمومات الوعيد ،وعمومات الوعد أكثر من عمومات الوعيد، وما ذكره في ترجيح عمومات الوعيد قد أجبنا عنه وبينا أن عمومات الوعد راجحة.

المسألة الثانية: نقل عن ابن عباس أنه قال: توبة من أقدم على القتل العمد العدوان غير مقبولة وقال جمهور العلماء إنها مقبولة ويدل عليه وجوه:

الحجة الأولى أن الكفر أعظم من هذا القتل فإذا قبلت التوبة عن الكفر فالتوبة من هذا القتل أولى بالقبول.

الحجة الثانية قوله تعالى في آخر الفرقان وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءاخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيامَة ِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً إِلاَّ مَن تَابَ وَءامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً ( الفرقان 68 69 70 ) وإذا كانت توبة الآتي بالقتل العمد مع سائر الكبائر المذكورة في هذه الآية مقبولة فبأن تكون توبة الآتي بالقتل العمد وحده مقبولة كان أولى. مفاتيح الغيب الفخر الرازي 191/10. بتصرف

وقال ابن كثير (2/ 424):" وَالَذِي عَلَيْهِ الجُمْهُور مِنْ سَلف الأُمَّة وَخَلفهَا :أَنَّ القَاتِل لهُ تَوْبَة فِيمَا بَيْنه وَبَيْن الله عَزَّ وَجَل ،فَإِنْ تَابَ وَأَنَابَ وَخَشَعَ وَخَضَعَ وَعَمِل عَمَلًا صَالِحًا ؛ بَدَّل الله سَيِّئَاته حَسَنَات ،وَعَوَّضَ المَقْتُول مِنْ ظُلامَته وَأَرْضَاهُ عَنْ طِلابَته قَال الله تَعَالى:( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ)–إلى قَوْله–(إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ) (سورة الفرقان الآية 68–70) الآيَة . وَهَذَا خَبَر لا يَجُوز نَسْخه وَحَمْله عَلى المُشْرِكِينَ وَحَمْل هَذِهِ = =الآيَة عَلى المُؤْمِنِينَ خِلاف الظَّاهِر وَيَحْتَاج حَمْله إِلى دَلِيل وَالله أَعْلم ".

وقال ابن حجر في "الفتح"( 496/8 ) :"وقد حمل جُمْهُور السَّلَف وَجَمِيع أَهْل السُّنَّة مَا وَرَدَ

ثم قال:وما أعظم هذا الذنب وما أكبره ونعوذ بالله من ذنب اختلف أئمة السلف في قبول توبتة مرتكبه،وقد أجمعوا علي قبول توبة الكافر.[1]

وفي مسألة المفاضلة بين البشر والملائكة يكتفي الشيخ بالتنبيه علي فضل النبي محمد–صلي الله عليه وسلم–علي عموم المخلوقين،ويذكر وجهاً لفضل الملائكة علي البشر من جهة أصل الخِلقة،ويتوقف مختاراً مذهب التسليم في المفاضلة بين الأنبياء والملائكة بعد تنبيهه علي الخلاف الوارد في هذه المسألة.

فعند تفسير قول الله تعالي چکککگگگگڳڳڳڳڱڱڱڱںںڻچ[2]قال:

المفاضلة تقع بين الملائكة وبني ادم علي وجهين:إما من جهة الخِلقة وإما من جهة المثوبة: فأما من جهة الخِلقة فقد عرفنا أن الملائكة أفضل، فخلقتهم أشرف من خلقة الإنسان وأكرم،لأنهم خلقوا من نور محض،منزهة أجسامهم النورانية عن كثافة الأجساد الإنسانية الترابية،وأخلاطها وظلمتها،فلم يفضل عليهم النوع الإنساني في خلقه،بل فضلوا عليه،فهم غير الكثير الذي فضل عليه الإنسان. والآية ظاهرة في ذلك ظهوراً بيناً، وأم ا من جهة الأجر والمثوبة فهو خارج عن معني الآية وموضوعها وأفضل الخلق–صلي الله عليه وآله وسلم– أفضل منهم قطعاً.

وفي المفاضلة بين الأنبياء والملائكة في الأجر والثواب، خلاف كبير وتفويض أمر ذلك إلي الله في مقام التذكير أسلم.[3]

---

مِنْ ذَلِكَ عَلَى التَّغْلِيط ، وَصَحَّحُوا تَوْبَة الْقَاتِل كَغَيْرِهِ ، وَقَالُوا مَعْنَى قَوْله( فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّم )أَيْ إِنْ شَاءَ الله أَنْ يُجَازِيه،تَمَسُّكًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى في سورة النساء أيضاً:{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ }راجع للمزيد:دفع إيهام الاضطراب ص: 69وما بعدها

(١)مجالس التذكير ص: 228

(٢)الإسراء: ٧٠

(٣) مجالس التذكير ص:130،سُئِلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابن تيمية –رحمه الله–:عَنْ صَالِحِي بَنِي آدَمَ وَالْمَلَائِكَةِ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ فَأَجَابَ :بِأَنَّ صَالِحِي الْبَشَرِ أَفْضَلُ بِاعْتِبَارِ كَمَالِ النِّهَايَةِ وَالْمَلَائِكَةَ أَفْضَلُ بِاعْتِبَارِ الْبِدَايَةِ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ الْآنَ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى مُنَزَّهُونَ عَمَّا يُلَابِسُهُ بَنُو آدَمَ مُسْتَغْرِقُونَ فِي عِبَادَةِ الرَّبِّ وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذِهِ الْأَحْوَالَ الْآنَ أَكْمَلُ مِنْ أَحْوَالِ الْبَشَرِ . وَأَمَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ فَيَصِيرُ صَالِحُو الْبَشَرِ أَكْمَلَ مِنْ حَالِ الْمَلَائِكَةِ =. = قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ : وَبِهَذَا التَّفْصِيلِ يَتَبَيَّنُ سِرُّ التَّفْضِيلِ وَتَتَّفِقُ أَدِلَّةُ الْفَرِيقَيْنِ وَيُصَالَحُ كُلٌّ مِنْهُمْ عَلَى حَقِّهِ. كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية،4/ 343

من جملة ما نص عليه من الأمور العقدية موقف المسلم من قضية الإيمان باليوم الآخر وما يجري فيه، فنراه يقرر ما ينبغي أن يكون عليه معتقد المسلم في ذلك، وهو وجوب الإيمان بما ثبت في آيات القرآن وصحيح السنة لأن ذلك يدخل في الإيمان باليوم الآخر الذي هو ركن من أركان الإيمان.

قال–رحمه الله–:أحوال ما بعد الموت كلها من الغيب، فلا نقول فيها إلا ما كان لنا به علم: بما جاء في القرآن العظيم، أو ثبت في الحديث الصحيح.

وقد كثرت في تفاصيلها الأخبار من الروايات مما ليس بثابت، فلا يجوز الالتفات إلى شيء من ذلك. ومثل هذا كل ما كان من عالم الغيب مثل الملائكة والجن والعرش، والكرسي، واللوح، والقلم، وأشراط الساعة، وما لم يصل إليه علم البشر.[1]

وهو ينبه علي أهمية هذا الاعتقاد فيما يرد علينا من أحوال اليوم الآخر حيث يقول عند تفسير قول الله تعالي چپپپٻٻٻٻٱچ[2] بعد ساق حديثاً عن أَنَس بْن مَالِكٍ أَنَّ رَجُلاً قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ « أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى رِجْلَيْهِ فِى الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ».[3]

---

قَال ابْنُ عَابِدِينَ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ نَقْلاً عَنِ الزَّنْدُوسَتِيِّ : أَجْمَعَتِ الأُمَّةُ عَلَى أَنَّ الأَنْبِيَاءَ أَفْضَل الْخَلِيقَةِ، وَأَنَّ نَبِيَّنَا ﷺ أَفْضَلُهُمْ ، وَأَنَّ أَفْضَل الْخَلاَئِقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ الْمَلاَئِكَةُ الأَرْبَعَةُ وَحَمَلَةُ الْعَرْشِ وَالرُّوحَانِيُّونَ وَرِضْوَانُ وَمَالِكٌ ، وَأَنَّ الصَّحَابَةَ وَالتَّابِعِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ أَفْضَل مِنْ سَائِرِ الْمَلاَئِكَةِ .وَاخْتَلَفُوا بَعْدَ ذَلِكَ ، فَقَال الإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ : سَائِرُ النَّاسِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَل مِنْ سَائِرِ الْمَلاَئِكَةِ ، وَقَال مُحَمَّدٌ وَأَبُو يُوسُفَ : سَائِرُ الْمَلاَئِكَةِ أَفْضَل. حاشية ابن عابدين 354/1 ط بولاق .

قال القرطبي:وقا ل بعض العلماء : ولا طريق إلى القطع بأن الأنبياء أفضل من الملائكة ، ولا القطع بأن الملائكة خير منهم ، لأن طريق ذلك خبر الله تعالى وخبر رسوله أو إجماع الأمة ، وليس ههنا شيء من ذلك. الجامع لأحكام القرآن،289/1

(١) مجالس التذكير ص: 106، قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله– : وَمِنَ الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ...وَأَصْنَافُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الآخِرَةُ مِنَ الْحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالآثَارِ مِنَ الْعِلْمِ الْمَأْثُورِ عَنِ الأَنْبِيَاءِ، وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنِ ابْتَغَاهُ وَجَدَهُ. مجموع الفتاوى 145/3وما بعدها بتصرف

(٢) الفرقان: ٣٤

(٣) صحيح مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ. (25)

قال عقبه:من هذا الحديث علمنا:إنّه يجب في ما يرد من الأخبار عن اليوم الآخر أن يُحمل على ظاهره، ولو كان غير معتاد في الدنيا؛ لأنَّ أحوال العالم الآخر لا تقاس على أحوال هذا العالم»[١]

وتكلم الشيخ ابن باديس عند قول الله تعالي : چڑڑکککگگگچ[٢] عن أهمية التوحيد وأنه أساس الدين وأنه دعوة الأنبياء والمرسلين.

وعند تفسيره لقول الله تعالي (ٹٹٹٹ ٹڈڈڈ ڈڈڤڤ ڤڤ ڤ)[٣] ذكر جملة من مسائل الاعتقاد تكلم فيها عن أقسام التوحيد : توحيد الربوبية وتوحيد الإلوهية والتوحيد العلمي والتوحيد العملي وعن أقسام الكفر، [٤]وتطرق للرياء الذي هو شرك أصغر فقال : إن قصد الثواب والجزاء على العمل لا ينافي الإخلاص فيه لله.

وتكلم عن العامل الذي لا يريد الآخرة أصلاً وإنما أراد الرياء أو منفعة دنيوية وفصل في ذلك تفصيلاً جيداً.[٥]

**الأحكام الشرعية والأحكام القدرية**.

تكلم ابن باديس عن هذه المسألة عند تفسيره لقول الله تعالي چئۇئۆئۆئۈئۈئېئېئېئىئىئيبجبحبخبمبىبيتجتحچ[٦] حيث قال: أحكام الله تعالي قسمان:أحكام شرعية،وهي التي فيها بيان ما شرعه لخلقه مما فيه انتظام أمرهم وحصول سعادتهم إذا ساروا عليه .

وأحكام قدرية وهي التي فيها بيان تصرفه في خلقه علي وفق ما سبق في علمه وما سبق في إرادته

والأحكام الشرعية تقع من العباد مخالفتها، فيتخل ف مقتضاها من الفعل والترك.

والأحكام القدرية لا تتخلّف أصلاً، ولا يخرج المخلوقات عن مقتضاها قطعاً. وفي هذه الآية حكم من أحكامه القدرية، وهو أنَّ كلّ قرية لابدَّ أن يصيبها أحد الأمرين المذكورين بما سبق من علمه، وما مضى من إرادته، فلا يتخلّف هذا الحكم، ولا تخرج عنه قرية

(١) مجالس التذكير ص:185
(٢) الإسراء: ٢٢، مجالس التذكير ص:62
(٣) الإسراء:19.
(٤) مجالس التذكير ص:63
(٥) مجالس التذكير ص:53-54
(٦) الإسراء : 58

إلي أن يقول: فما من حكم من أحكامه الشرعية إلا وله حكمته، وما من حكم من أحكامه القدرية إلا وله سببه وعلته.

لا لوجوب أو إيجاب عليه،بل بمحض مشيئته ومقتضى عدله وحكمته(١)

**الأسباب والمسببات**

تعرض الإمام ابن باديس لهذه المسألة عند قول الله تعالي (ٱ ٻ ٻ ٻ پ ٻ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ)(٢)حيث قال:"الأسباب الكونية التي وضعها الله تعالي في هذه الحياة وسائل لمسبباتها،موصلة–بإذن الله تعالي– من تمسك بها إلي ما جعلت وسيلة إليه،بمقتضي أمر الله وتقديره وسنته في نظام هذه الحياة والكون،ولو كان ذلك المتمسك بها لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ولا يصدق المرسلين،

ومن مقتضي هذا:أن من أهمل تلك الأسباب الكونية التقديرية الإلهية،ولم يأخذ بها لم ينل مسبباتها ولو كان من المؤمنين،وهذا معلوم مشاهد من تاريخ البشر في ماضيهم وحاضرهم.(٣)

---

(١) مجالس التذكير ص:124 ،

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : "والحكم نوعان : حكم كوني قدري، وحكم أمري ديني :الأول: حكم شرعي ديني : فهذا حقه أن يتلقى بالمسالمة والتسليم، وترك المنازعة، بل الانقياد المحض، وهذا تسليم العبودية المحضة فلا يعارض بذوق ولا وجد، ولا سياسة، ولا قياس ولا تقليد. ولا يرى إلى خلافه سبيلاً البتة، وإنما هو الانقياد المحض والتسليم والإذعان والقبول، فإذا تلقى بهذا التسليم والمسالمة إقرارًا وتصديقًا بقي هناك انقياد آخر وتسليم آخر له إرادة وتنفيذًا وعملاً، فلا تكون له شهوة تنازع مراد الله من تنفيذ حكمه، كما لم تكن له شبهة تعارض إيمانه وإقراره، وهذا حقيقة القلب السليم الذي سلم من شبهة تعارض الحق وشهوة تعارض الأمر، فلا استمتع بخلاقه كما استمتع به الذين يتبعون الشهوات، ولا خاض في الباطل خوض الذين يتبعون الشبهات، بل اندرج خلاقه تحت الأمر، واضمحل خوضه في معرفته بالحق، فاطمأن إلى الله معرفة به، ومحبة له وعلمًا بأمره وإرادة لمرضاته. فهذا حق الحكم الديني.

طريق الهجرتين وباب السعادتين، 66/1 تأليف: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل،47/1

يقول الشنقيطي رحمه الله: – " وَلَمَّا كَانَ التَّشْرِيعُ وَجَمِيعُ الْأَحْكَامِ – شَرْعِيَّةً كَانَتْ أَوْ كَوْنِيَّةً قَدَرِيَّةً – مِنْ خَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ ..... كَانَ كُلُّ مَنِ اتَّبَعَ تَشْرِيعًا غَيْرَ تَشْرِيعِ اللَّهِ قَدِ اتَّخَذَ ذَلِكَ الْمُشَرِّعَ رَبًّا ، وَأَشْرَكَهُ مَعَ اللَّهِ" . أضواء البيان 53/7

(٢) الإسراء:18.

(٣) مجالس التذكير ص:50

ويحاول الإمام ابن باديس تنزيل معاني الآيات علي واقع الأمة ليرشدها إلي طريق الدواء من الأدواء فعند قوله سبحانه: (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ)[1] يقول:"فهذه الآية من أنجع الدواء لفتنة المسلم المتأخّر بغيره المتقدّم، لما فيها من بيان أنَّ ذلك المسلم ما تأخر بسبب إسلامه، وأنَّ غيره تقدّم بعدم إسلامه، لأنَّ السبب في التقدّم والتأخّر هو التمسّك أو الترك للأسباب.ولو أن المسلم تمسك بها كما يأمره الإسلام، لكان –مثل سالف أيامه–سيد الأنام».[2]

ويكمل الإمام ابن باديس من خلال عرضه لأخبار الأمم السابقة وما جري عليها من الإهلاك منبهاً الأمة إلي قيمة الأخذ بالأسباب للوصول لطريق النجاة والبعد عن طريق الهلاك، وعدم اعتبار هذا التعلق منافياً للإيمان حيث يقول: «قد ربط الله بين الأسباب ومسبباتها خلقاً وقدراً بمشيئته وحكمته، لنهتدي بالأسباب إلى مسبباتها ونجتنبها باجتناب أسبابها». ثمَّ يضيف:«وقد عرّفنا [سبحانه] في الآيات المتقدّمة بأسباب الهلاك والعذاب لنتّقي تلك الأسباب فنسلم، أو نقلع عنها فننجو؛ فإنَّ بطلان السبب يقتضي بطلان المسبب.

وقد ذكر لنا في كتابه أمة أقلعت عن سبب العذاب فارتفع عنها بعد ما كاد ينزل بها،ليؤكد لنا أن الإقلاع عن السبب ينجي من المسبب فقال تعالي (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ)[3] فمبادرتهم للإيمان وإقلاعهم عن الكفر،كشف عنهم العذاب»[4].

## المبحث الرابع: علوم القرآن في تفسير ابن باديس

### المطلب الأول: أسباب النزول.

إن من أهم الأدوات التي يحتاج إليها المفسر في تفسيره معرفة سبب نزول الآيات، وذلك لارتباط معاني التنزيل بأسباب النزول.

(١) الإسراء:20.
(٢) مجالس التذكير ص:59
(٣) يونس:98.
(٤) مجالس التذكير ص:126

قال الواحدي–رحمه الله–:"لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها".

وقال ابن دقيق العيد–رحمه الله–: "بيان سبب النزول طريق قوي فِي فهم معاني القرآن".

وقال الإمام ابن تيمية –رحمه الله–"معرفة سبب النزول يعين علي فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"(١)

و قال الشيخ أبو الفتح القشيري–رحمه الله– "بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز وهو أمر تحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا "(٢)

ولأهمية أسباب النزول وارتباطها بالمأثور المنقول عن الصحابة تحري ابن باديس في ذكره لأسباب النزول الثابت منها الصريح في ربطها بالآية

ومن أمثلة ذلك قوله: چېېىىئائەئەچ(٣) قال ابن مسعود ﷺ:هي في نفر من الإنس كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجن وبقي الإنس على عبادتهم.وجاء عنه وعن غيره:أنها في الذين كانوا يعبدون الملائكة من العرب.(٤)

ومن الأمور التي كان يهتم بها الشيخ في مسألة سبب النزول عدم إيراد الأسباب الضعيفة، والاعتماد علي ما صح منها.

فعند تفسيره لقول الله تعالي چٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ چ(٥) قال ثبت في الصحيحين واللفظ لمسلم أن عبد الله بن مسعود قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ :«أَنْ تَدْعُوَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ ». قَالَ : ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ:«تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ». قَالَ:ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ:«أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ» .فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَهَا (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا)(٦)

---

(١) راجع هذه الأقوال:الإتقان في علوم القرآن1/87–88

(٢) البرهان في علوم القرآن22/1 .

(٣)الإسراء: ٥٧

(٤) مجالس التذكير ص:120أخرجه البخاري–كتاب التفسير–سورة الإسراء باب (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ) 397/8،تفسيرالطبري628/14،أثر 22531وأثر 22534

(٥) الفرقان: ٦٨

(٦) مجالس التذكير ص:219 والحديث أخرجه البخاري في صحيحه كِتَاب الدِّيَاتِ بَاب قَوْلِ اللَّهِ اللَّهِ تَعَالَى (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ )2517/6ح 6468،ومسلم كِتَاب الْإِيمَانِ

وعند قول الله تعالي ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ[1]قال أخرج الشيخان عن ابن عَبَّاسٍ ب واللفظ لمسلم قال ابن عَبَّاسٍ "نَزَلَتْ هذه الْآيَةُ بِمَكَّةَ(وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مع اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ) إلى قَوْله (مُهَانًا)فقال الْمُشْرِكُونَ وما يُغْنِي عَنَّا الْإِسْلَامُ وقد عَدَلْنَا بِاللَّهِ وقد قَتَلْنَا النَّفْسَ التي حَرَّمَ الله وَأَتَيْنَا الْفَوَاحِشَ فَأَنْزَلَ الله عز وجل (إلا من تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ) إلى آخِرِ الْآيَةِ قال فَأَمَّا من دخل في الْإِسْلَامِ وَعَقَلَهُ ثُمَّ قَتَلَ فلا تَوْبَةَ له .[2]

ونراه يضرب صفحاً عن أسباب النزول التي لم تصح وينبه الأمة إلي أن ما صح فيه الكفاية عن ما لم يصح

فعند تفسيره لسورة الفلق قال"وحديث مسلم هو أصح ما ورد في نزولها.

وأما ما يذكر في نزولهما في قصة سحر النبيﷺ فان ذلك لم يصح سبباً لنزولها.[3]

---

باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده 91/1ح86،جامع البيان 656/6أثر 9281،أسباب نزول القرآن للواحدي334/1،ت:الحميدان

(١) الفرقان: ٧٠

(٢) مجالس التذكير ص: 224 والحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير بَاب:قوله( يُضَاعَفْ له الْعَذَابُ يوم الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فيه مُهَانًا )1785/4ح4487،ومسلم في صحيحه كتاب التفسير باب: 4،2318/1ح 3023

(٣)وردت رواية صريحة في جعل قصة سحر النبي صل ي الله عليه وسلم سبباً في نزول المعوذتين وحسنها الإمام السيوطي وذكر أن لقصة سحره صلي الله عليه وسلم شواهد في الصحيح بدون نزول السورتين وله شاهد بنزولهما.

ونص الرواية التي فيها سبب النزول في مسند عبد بن حميد " عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ، قَالَ : سَحَرَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ ، قَالَ: فَاشْتَكَى فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَنَزَلَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ ، وَقَالَ : إِنَّ رَجُلاً مِنَ الْيَهُودِ سَحَرَكَ ، وَالسِّحْرُ فِي بِئْرِ فُلاَنٍ ، قَالَ : فَأَرْسَلَ عَلِيًّا فَجَاءَ بِهِ ، قَالَ : فَأَمَرَهُ أَنْ يَحُلَّ الْعُقَدَ ، وَتَقْرَأَ آيَةً ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ وَيَحُلُّ حَتَّى قَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم كَأَنَّمَا أُنْشِطَ مِنْ عِقَالٍ ، قَالَ : فَمَا ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم = =لِذَلِكَ الْيَهُودِيِّ شَيْئًا مِمَّا صَنَعَ بِهِ ، قَالَ : ، وَلاَ أَرَاهُ فِي وَجْهِهِ. المنتخب من مسند عبد بن حميد 115/1ح271، شرح مشكل الآثار، 180/15ح 5935 الطحاوي ،الدر المنثور 8/ 687 ، لباب النقول في أسباب النزول 239/1، ورواية عبد بن حميد صريحة في أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمَرَ علياً أن يَحُل العُقَد، ويقرأ آية، وسياق ما نقله الحافظ في "الفتح" 230/10 عن عبد بن حميد يشير إلى أن الآمر جبريل، والمأمور هو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! راجع:المقبول من أسباب النزول أ.د/نادي محمود حسن ص:725 رقم766 ،مطبعة الأمانة،ط:الأولي1418 هـ -1997م

وان كان لقصة السحر وصاحبها لبيد بن الأعصم أصل ثابت في الصحيح.وقد تساهل كثير من المفسرين في حشر هذا السبب في تفسيرهما،وفي حشر كثيٍر مما لم يصح في فضائلهما، ولنا فيما صح غنية فيما لم يصح"[١]

**العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب**:

نبه الشيخ ابن باديس في تفسيره إلي قاعدة مهمة تتعلق بأسباب النزول وهي قاعدة "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" وهذه القاعدة هي التي ارتضاها المحققون من أهل العلم [٢]

ومما يدل علي ذلك قوله عند تفسير قول الله تعالي ﭽﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﭼ[٣] قال والخطاب و إن كان موجهاً للنبي ﷺ فإن ه عام للمكلفين [٤]

ويقول عند تفسيره لقول الله تعالي ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﭼ[٥]قال تحت عنوان(عموم حكم الآية وترغيبها)العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والحكم يعم بعموم

---

(١) مجالس التذكير ص:369 ونص حديث مسلم عن عُقْبَةَ بن عَامِرٍ قال: قال: رسول اللَّهِ ﷺ أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ اللَّيْلَةَ لم يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ )وَقُلْ( أَعُوذُ بِرَبِّ الناس) كِتَاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا بَاب فَضْلِ قِرَاءَةِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ 558/1ح814،وحديث سحر النبي في الصحيحين البخاري كِتَاب الطِّبِّ ،بَاب السِّحْرِ 2176/5ح5433

(٢) يقول الإمام السيوطي في الإتقان (30/1–31) اختلف أهل الأصول:هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب ؟ والأصح عندنا الأول وقد نزلت آيات في أسباب ،واتفقوا على تعديتها إلى غير أسبابها . كنزول آية الظهار في سلمة بن صخر ،وجاءت رواية صحيحة تفيد أن الآية في أوس بن الصامت ،وقد ظاهر من زوجته خوله ..رواه الحاكم في المستدرك (481/2) وصححها وأقره الذهبي. انتهي بتصرف

فإذا ورد النص الشرعي بصيغة عامة وجب العمل بعمومه الذي دلت عليه صيغته، ولا اعتبار لخصوص السبب الذي ورد الحكم بناء عليه، سواء كان السبب سؤالاً أم واقعة حدثت. لأن الواجب على الناس إتباعه، هو ما ورد به نص الشارع، وقد ورد نص الشارع بصيغة العموم فيجب العمل بعمومه، ولا يعتبر خصوصيات السؤال أو الواقعة التي ورد النص بناء عليها،لأن عدول الشارع في نص جوابه أو فتواه عن الخصوصيات، إلى التعبير بصيغة العموم قرينة على عدم اعتباره تلك الخصوصيات.

علم أصول الفقه عبد الوهاب خلاف 189/1 بتصرف

(٣) الإسراء: ٢٢

(٤) مجالس التذكير ص:62

(٥) الإسراء: ٣١

اللفظ،كما أن ذكر سبب القتل في الآية لا يقتضي التخصيص،لأنه ذكر لتصور الحال الذي كانوا عليه،فالقتل حرام لأي سبب كان.(١)

وقال عند تفسيره لقول الله تعالي چۀۀہہھھےےۓۓڭچ(٢) نزول الآيات في الكافرين،لا يمنع من تطبيقها علي من شاركهم في مثل الحال الذي أنكرته عليهم من المؤمنين،لأن الوصف المذموم مذموم،سواء أكان المتصف به مؤمنا أم كان كافراً.(٣)

وعند تفسيره لقول الله تعالي چڭڭۇۇۆۆچ(٤) قال والخطاب وإن كان لهﷺ فالحكم شامل لأمته،فلا يجوز للمسلم أن يطيع كافراً أ و عاصياً في أي شئ من نواحي الكفر ،ونواحي المعصية.(٥)

## المطلب الثاني: فضائل السور.

اهتم كثير من المفسرين بذكر أحاديث فضائل السور في التفسير فجمعوا كل ما قيل من الآثار بغض النظر عن درجة قبولها.

يقول الإمام ابن العربي(٦): وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ حَدِيثٌ صَحِيحٌ فِي فَضْلِ سُورَةٍ إلَّا قَلِيلٌ سَنُشِيرُ إلَيْهِ،وَبَاقِيهَا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْكُمْ أَنْ يَلْتَفِتَ إلَيْهَا .(٧) ومن أجل ذلك وجدنا الشيخ ابن باديس يتحفظ في هذه المسألة ويحتاط في نقل ما صح في فضل السورة ومع أنه تعرض لتفسير سو ر من أولها كالفرقا ن، ويسن، والمعوذتين إلا أنه لم يذكر من أحاديث الفضائل التي ألصقت بكل سور القرآن إلا في فضل المعوذتين فقال(أما السورتان فيكفي في فضلهما ما أخرجه مسلم في

(١) مجالس التذكير ص:91
(٢) الإسراء: ٨٢
(٣) مجالس التذكير ص:146
(٤) الفرقان: ٥٢
(٥) مجالس التذكير ص:188
(٦) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد،الإمام أبو بكر بن العربي المعافريّ الأندلسي الإشبيلي( 468– 543هـ)الحافظ ، ختام علماء الأندلس ، وآخر أئمتها وحفاظها ، أحد الأعلام ، وله مصنفات كثيرة منها :أحكام القرآن ، وعارضة الأحوذي على كتاب الترمذي والقواصم والعواصم وغيرها كثير . توفي بفاس سنة 543 هـ . انظر :طبقات المفسرين للداوودي 180/1،تأليف:أحمد بن محمد الأدنه وي، الأعلام230/6
(٧)أحكام القرآن لابن العربي 14/1

صحيحه عن عُقْبَةَ بن عَامِرٍ الْجُهَنِيُّ،قال: قال: رسول اللَّهِ ﷺ أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ اللَّيْلَةَ لم يُرَ خير منهن قَطُّ؟ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ )وَقُلْ (أَعُوذُ بِرَبِّ الناس )[1] وهو يأخذ على كثير من المفسرين تساهلهم في سوق أحاديث لم تصح في فضائل السور، ويلمح إلي هذا الأمر قائلاً:«لنا في ما صحّ غنية عما لم يصح»[2]

**المطلب الثالث: مسألة ترتيب السور وأسمائها.**

اختلف العلماء في مسألة ترتيب السور في المصحف علي ثلاثة أقوال:
القول الأول: هو أن ترتيب السور كان باجتهاد من الصحابة ش،ومِمَّن ذهب هذا القول الإمام مالكٌ، والقاضي أبو بكر الباقلاني فيما رجحه من قوليه. والقاضي عياض، ومكي بن أبي طالب ، وجزم به ابن فارس . وغيرهم [3]
القول الثاني: أن ترتيب السور توقيفي، وهو قول جمهور العلماء، وممن ذهب إلى هذا الرأي: أبو جعفر النحاس[4]، والكرماني[1]، وأحد قولي الباقلاني، وأبوبكر بن الأنباري، وابن الحصار[2]. [3]

---

(١) صحيح مسلم كِتَاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا بَاب فَضْلِ قِرَاءَةِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ1/558ح814
(٢) مجالس التذكير ص:368-369 بتصرف
(٣) نكت الانتصار لنقل القرآن ص: 82، والبرهان (257/1)،وفتح الباري (655/8). ، أسرار ترتيب القرآن للسيوطي ص: 68. انظر هذا الاختلاف في المصاحف في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي "1/ 51"، البرهان في علوم القرآن 1/ 258، الإتقان في علوم القرآن 170/1-172."وفيه أن ابن فارس يجزم بترتيب الطول والمئين والمفصل بالتوقيف، أما وضع كل مجموعة تلو الأخرى فمن الصحابة .
ولمزيد من المعلومات المفصلة والقيمة عن هذا الموضوع: انظر: أحمد حسن فرحات، في علوم القرآن – عرض ونقد وتحقيق، (عمان : دار عمار للنشر والتوزيع، 2000م)، = =ص:48-70. مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1417هـ /1996م)، ط2، ص: 142-145. ولمزيد من المعلومات عن كون ترتيب المصحف توقيفياً وأنه يجب الالتزام به لإجماع الصحابة على ذلك انظر: مقدمتان في علوم القرآن، مقدمة ابن عطية، ومقدمة كتاب المباني، تحقيق جفري آرثر وتصويب عبدالله إسماعيل الصاوي، (القاهرة، 1972م)، ص: 41-42؛ وانظر كذلك: المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص:333. محمد محمد أبو شهبة،
(٤)هو العلامة إمام العربية أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري النحوي،المعروف بالنحاس، صاحب التصانيف،أخذ عن الزجاج، وكان من أذكياء العالم. توفي سنة 338هـ. سير أعلام النبلاء401/15،وشذرات الذهب(346/2).وفيات الأعيان لابن خلكان(1/ 100)

والقول الثالث: أن ترتيب السور معظمه بتوقيف وبعضه باجتهاد من الصحابة، وممن ذهب إلى هذا الرأي: البيهقي، وابن عطية، والسيوطي، وابن حجر. والذي يترجح في المسألة. والله أعلم. هو قول الجمهور وذلك لأدلة عديدة ساقوها، ولهذا يقول أبو بكر بن الأنباري: (اتساق السور كاتساق الآيات والحروف كان عن النبي ﷺ، فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن )[٤] ونقل السيوطي عن بعضهم القول: (لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطلع على أنه توقيفي صادر من حكيم)[٥]

**أما مسألة أسماء السور فالخلاف وارد فيها علي قولين:**

القول الأول:أن التسمية توقيفية وهو ما اختاره الطبري،والزركشي،والسيوطي، والكثير من أهل العلم.[٦]

قال السيوطي :"وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار ولولا خشية الإطالة لبينت ذلك."[٧]

القول الثاني:وهو ما ذهب إليه الفاروق عمر، وابن عباس، وابن عمر رضي الله عنهم[٨]

---

(١) هو تاج القراء، برهان الدين أبو القاسم محمود بن حمزة الكرماني، عالم بالقراءات، كان عجبًا في دقة الفهم وحسن الاستنباط، توفي في حدود سنة 505هـ. الأعلام للزركلي (168/7).

(٢)ابن الحصار وهو: علي بن محمد بن محمد بن إبراهيم الخزرجي الإشبيلي، له مؤلفات منها: أصول الفقه، والناسخ والمنسوخ. توفي سنة 611هـ "التكملة لابن الأبار 686".

(٣) البرهان (258/1).الإتقان 172/1، البرهان في توجيه متشابه القرآن ص 16، والبرهان في علوم القرآن (259/1). الاتقان172/1

(٤)ترتيب سور القرآن، ص: 32. السيوطي.

(٥)ترتيب سور القرآن، ص: 34. هو الزركشي كما في البرهان "1/ 260" دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.قال الزركشي في البرهان 270/1

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن1/ 100، البرهان في علوم القرآن ( 270/1)

(٧) الإتقان في علوم القرآن (115/1)

(٨) الإتقان في علوم القرآن (115/1)

وبعد هذا العرض الموجز لأقوال العلماء في المسألتين:ترتيب السور وأسماءها نجد الشيخ ابن باديس قد اختار القول بالتوقيف في المسألتين حيث يقول في مسألة ترتيب السور :«وترتيب السور توقيفي،ليس من صنيع جامعي المصح ف كما ذكره السيوطي في الإتقان وجماعة»[١]

وقال:«هذه هي المناسبة العامّة بين جميع القرآن مرتباً ترتيبه التوقيفي،وبين هاتين السورتين في اتحاد موضعها» [٢].

وفي مسألة أسماء السور ينص علي أنَّها توقيفية حيث يقول (فتسمية هاتين السورتين بالمعوذتين تسمية نبوية مأثورة، كأسماء جميع سور القرآن)[٣].

**المطلب الرابع**: **فواتح السور**:

اختلف الْعُلَمَاءُ في الحروف المقطعة في أوائل السور على قولين: أحدهما: أن هذا علم مستور وسر محجوب استأثر الله به،ولهذا قال الصديق ﷺ في كل كتاب سر وسره في القرآن أوائل السور ،وقال الشعبي إنها من المتشابه نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله ﷻ .

قال الإمام الرازي–رحمه الله– وقد أنكر المتكلمون هذا القول وقالوا لا يجوز أن يرد في كتاب الله ما لا يفهمه الخلق لأن الله تعالى أمر بتدبره والاستنباط منه وذلك لا يمكن إلا مع الإحاطة بمعناه ولأنه كما جاز التعبد بما لا يعقل معناه في الأفعال فلم لا يجوز في الأقوال بأن يأمرنا الله تارة بأن نتكلم بما نقف على معناه وتارة بما لا نقف على معناه ويكون القصد منه ظهور الانقياد والتسليم.

أما القول الثاني:فهو أن المراد منها معلوم وذكروا فيه ما يزيد على عشرين وجهاً فمنها البعيد ومنها القريب.[٤]

ولقد حاول الأمين الشنقيطي أن يُجمل الكلام في هذه المسألة فقال:اعْلَمْ أَنَّ الْعُلَمَاءَ اخْتَلَفُوا فِي الْمُرَادِ بِالْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ اخْتِلَافًا كَثِيراً، وَاسْتِقْرَاءُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ يُرَجِّحُ وَاحِداً مِنْ تِلْكَ الْأَقْوَالِ،وَسَنَذْكُرُ الْخِلَافَ الْمَذْكُورَ وَمَا يُرَجِّحُهُ الْقُرْآنُ مِنْهُ بِالِاسْتِقْرَاءِ فَنَقُولُ، وَبِاللَّهِ جَلَّ وَعَلَا نَسْتَعِينُ :

(١) مجالس التذكير ص:369

(٢) مجالس التذكير ص:370

(٣) مجالس التذكير ص:368،وقد سبق الحديث عن الأقوال وأصحابها في المسألتين عند بداية الحديث

(٤)البرهان في علوم القرآن173/1

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ :هِيَ مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِعِلْمِهِ،وَمِمَّنْ رُوِيَ عَنْهُ هَذَا الْقَوْلُ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ ،وَعُثْمَانُ ،وَعَلِيٌّ، وَابْنُ مَسْعُودٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ –وَعَامِرٌ الشَّعْبِيُّ ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ، وَالرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ ، وَاخْتَارَهُ أَبُو حَاتِمِ بْنُ حِبَّانَ . وَقِيلَ :هِيَ أَسْمَاءٌ لِلسُّوَرِ الَّتِي افْتُتِحَتْ بِهَا ، وَمِمَّنْ قَالَ بِهَذَا الْقَوْلِ :عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ،وَيُرْوَى مَا يَدُلُّ لِهَذَا الْقَوْلِ عَنْ مُجَاهِدٍ،وَقَتَادَةَ،وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ :وَعَلَيْهِ إِطْبَاقُ الْأَكْثَرِ .وَنُقِلَ عَنْ سِيبَوَيْهِ أَنَّهُ نَصَّ عَلَيْهِ وَقِيلَ:هِيَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى،وَمِمَّنْ قَالَ بِهَذَا :سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ،وَالشَّعْبِيُّ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّدِّيُّ الْكَبِيرُ ،وَرُوِيَ مَعْنَاهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَعَنْهُ أَيْضًا:أَنَّهَا أَقْسَامٌ أَقْسَمَ اللَّهُ بِهَا،وَهِيَ مِنْ أَسْمَائِهِ،وَرُوِيَ نَحْوُهُ عَنْ عِكْرِمَةَ .

وَقِيلَ :هِيَ حُرُوفٌ ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مِن اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ جَلَّ وَعَلَا . فَالْأَلِفُ مِنْ «الم» مَثَلًا : مِفْتَاحُ اسْمِ اللَّهِ، وَاللَّامُ مِفْتَاحُ اسْمِهِ لَطِيفٍ، وَالْمِيمُ :مِفْتَاحُ اسْمِهِ مَجِيدٍ، وَهَكَذَا . وَيُرْوَى هَذَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَابْنِ مَسْعُودٍ ، وَأَبِي الْعَالِيَةِ

ثم قال:أَمَّا الْقَوْلُ الَّذِي يَدُلُّ اسْتِقْرَاءُ الْقُرْآنِ عَلَى رُجْحَانِهِ فَهُوَ : أَنَّ الْحُرُوفَ الْمُقَطَّعَةَ ذُكِرَتْ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِيهَا بَيَانًا لِإِعْجَازِ الْقُرْآنِ، وَأَنَّ الْخَلْقَ عَاجِزُونَ عَنْ مُعَارَضَتِهِ بِمِثْلِهِ مَعَ أَنَّهُ مُرَكَّبٌ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ الَّتِي يَتَخَاطَبُونَ بِهَا، وَحَكَى هَذَا الْقَوْلَ الرَّازِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ عَنِ الْمُبَرِّدِ، وَجَمْعٍ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ، وَحَكَاهُ الْقُرْطُبِيُّ عَنِ الْفَرَّاءِ، وَقُطْرُبٍ، وَنَصَرَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَّافِ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ تَيْمِيَةَ، وَشَيْخُنَا الْحَافِظُ الْمُجْتَهِدُ أَبُو الْحَجَّاجِ الْمِزِّيُّ، وَحَكَاهُ لِي عَنِ ابْنِ تَيْمِيَةَ .(١)

أما عن موقف الشيخ ابن باديس من هذه المسألة فقد تعرض لها في بحث قيم عند تفسيره لسورة يسن فقال:مثل هذا اللفظ مما افتتحت به بعض سور القرآن للعلماء فيه طريقتان الطريقة الأولي: «أنه لفظ له معنى يعلمه الله، فهو المتشابه الذي لا يعلمه الراسخون، وإنّما يؤمنون به،ويردّون علمه إلى الله»

ثم طرح سؤالاً قال فيه: القرآن أُنزل للبيان، ولا بيان إلا بالإفهام، فكيف يكون في القرآن لفظ لا يُفهم معناه؟ وقد أجاب عن هذا السؤال جواباً ممتعاً ولولا الإطالة لذكرته بنصه بيَّن فيه أن للعقل حدود لابد أن يقف عندها،ولا يتجاوزها،فم ن لطف الله بالإنسان أن جعل لعقله حداً يقف عنده،وينتهي إليه، ليسلم من خطر الإعجاب

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 165/2 وما بعدها بتصرف محمد الأمين الشنقيطي. تفسير القرآن العظيم،39/1 لابن كثير

بالعقل، وقرر كذلك أن خفاء معاني بضع عشرة كلمة من كلمات القرآن،لا يمكن أن تقدح في بيانه ودلالة آياته.

ثم انتقل إلي القول الثاني في المسألة قائلاً:الطريقة الثانية:«وذهبت جماعة من أهل العلم من السلف والخلف، إلى أنَّ هذه الفواتح قد فهمت العرب المراد منها ، ولذلك لم تعترض علي البيان بها،ولا طعنت في عربيته بعدم فهمها،وإن كنا لا نجد في كلامها ما نعرف به المعني الذي فهمته منها

وممن ذهب إلي ذلك الإمام أبو بكر ابن العربي،فقال في كتاب القبس علي مؤطأ مالك بن أنس [1]"وليست من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله،ف إن محمداً –صلي الله عليه وآله وسلم–لو خاطب الكفار منها بما لا يفهم لكان ذلك أقوي أسبابها في الطعن عليه،وكانوا يقولون:هذا يتكلم بما لا نفهم،وهو يدعي أنه بلسان عربي مبين، وما حمعسق في اللسان؟وما كهيعص في الكلام؟فدل أنهم عرفوا الغرض وفهموا المقصود.

ثم جعل يسوق اختلاف من تأول لها معني فذكر أن منهم من قال :هي حروف تنبيه تقرع الأسماع وتلفت السامعين إلي الاستماع والتدبر ،ومنه م من قال:هي حروف تعجيز وإفحام وتقريع ومنهم من تكلم علي كل لفظ فجعل له معني يخصه[2] والذي نخلص إليه بعد عرض كيفية تناول الشيخ لمسألة الحروف المقطّعة هو أنَّ قوله فيها يوافق أصحاب القول الأول،وهو اعتبار الفواتح من العلم المستور الذي استأثر به الله، ومن المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا هو سبحانه والذي يؤكد ما ذكرنا هو كلامه في ذات السياق حيث قال"فإذا وقف أمام المتشابه رده إلي المحكم، وإذا انتهي إلي فواتح السور ذكر عجزهفآمن بما لها من معني، وقال:الله اعلم

ثم قال: فبهذا السير النظري،والعمل العلمي المبني علي اليقين بعدل الخالق ﷻ،وحكمته ورحمته في خلقه،وقدره وشرعه وكلامه،ومعرفة العبد بقدره ومقامه،يزداد السائر علي مقتضاه إيماناً وعلماً،وفوائد جمة،ويسلم من الغرور والأوهام والفتنة.وهو سبيل الراسخين الذين يقولون فيما لا يفهمونه: چۇۇوۋۋېېىئاچ[3]

## المطلب الخامس: علم المناسبات.

(١) القبس في شرح موطأ مالك بن انس 3/1080–1081 أبو بكر بن العربي
(٢) مجالس التذكير ص:287 ملخصاً بتصرف
(٣) آل عمران: ٧ ، مجالس التذكير ص:286

اهتم الشيخ ابن باديس بالمناسبات بين الآيات والسور وإظها ر العلاقة والرابطة بينهما،ولعل هذا الاعتناء بعلم المناسبات يرجع إلي قناعة عند الشيخ مفادها أن ارتباط نظم القرآن قد يخفي عن كثيرين، ومن الأهمية بمكان أن يطلع الناظر في القرآن علي تلك المناسبات وهو يقرر ذلك في منهجه التفسيري إذ يقول ( وربط الآيات، بوجوه المناسبات.)[١] .

وأول من أظهر علم المناسبة الإمام الجليل أبي بكر النيسابوري[٢] وكان غزير العلم في الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسي إذا قُرئت عليه الآيةٌ:(لم جُعِلَتْ هذه الآية إلى جنب هذه ؛ وما الحكمة في جَعْلِ هذه السورة إلى جنب هذه؟) .. وكان يُزري على علماء بغداد،لعدم علمهم بالمناسبة. [٣]

وقد تعددت أقوال العلماء في تعريف المناسبة،فمثلاً يقول البقاعي-/-:(علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه،وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال، لما اقتضاه الحال .وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة ، المطلوب ذلك فيها.) [٤]

ويقول القاضي أبو بكر بن العربي في سراج المريدين :ارتباط آي القرآن بعضها ببعض؛حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني،منتظمة المباني. .)[٥] ويقول السيوطي في الإتقا ن (المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها:عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي،أو غير ذلك من أنواع العلاقات،أو التلازم الذهني؛كالسبب والمسبب، والعلة والمعلو ل، والنظيرين،والضدين، ونحو ذلك مما يربط أجزاء الكلام ويجعل بعضه آخذاً بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المترابط الأجزاء ).[٦]

---

(١) مجالس التذكير ص:41

(٢) هو عبد الله بن محمد بن زياد ، الأموي ، الشافعي ، إمام الشافعيين في عصره ببغداد سمع بنيسابور والعراق والشام ومصر والحجاز ، جالس الربيع والمزني وتفقه بهما ، وهما من أصحاب الشافعي ، توفي سنة 324 هـ . سير أعلام النبلاء 15/65-67 .

(٣) البرهان في علوم القرآن 36/1 ، ، الإتقان في علوم القرآن، 108/2

(٤) مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السّوَرِ 142/1 برهان الدين البقاعي

(٥) البرهان في علوم القرآن 36/1

(٦) الإتقان في علوم القرآن، 108/2

وعلم المناسبات علم دقيق، يعتم د على العقلية ذات التفكير الكلي، أي التي تربط الأشياء بعضها وتكشف وجه العلاقة بينها، وهو علم يعرف به قدر القائل فيما يقول.
والمتتبع لمجالس التذكير يري أن الشيخ كان يُكثر من ذكر المناسبة بين جزء وآخر في آية واحدة،أو بين آية وأخري،أو بين آية وعدد من الآيات سبقها، ولم يهتم بذكر المناسبات بين السور في المواطن التي بدأ في تفسيرها من أولها إلا في تفسير سورة الإخلاص والمعوذتين واليك الأمثلة:

**المناسبة بين جزء وآخر في آية واحدة :**

ومثال هذا النوع ذكره عند تفسيره لقول الله تعالي چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ چ[1] قال:(ولما نهاه عن القول القبيح المؤذي... أمره بالقول اللين السهل الحسن في لفظه وفي معناه،وفي قصده وفي منشئه، السالم من كل عيب ومكرو ه بقوله تعالي( ڤ ڤ ٹ ٹ) وفي هذا أمر بأن يخاطبهما بجميل القول،ويؤنسهما بطيب الحديث.ونهي عن أن يؤذيهما في قول أو يؤحشهما بطول السكوت. فليس له أن يتركهما وشانهما، بل عليه مجالستهما ومحادثتهما،وجلب الإنس إليهما، وإدخال السرور عليهما. [2] ومن ذلك
ما ذكره عند قول الله تعالي چٱٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ چ[3]قال ولمَّا كان الزنا فيه بطلان النسب وفساد الخلق والجسد،وذلك مؤدٍ إلي الاضمحلال والزوال،والشرور والأهوال،قُرن بقتل النفس فذاك قتل حقيقي،وهذا قتل معنوي.[4]

**المناسبة بين آية وآخري**:

في قول الله تعالي چڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ و وچ[5] قال تحت عنوان المناسبة(لمَّا ذكر تعالي أن القرآن يكون شفاء ورحم ة للمؤمنين،ولا يزيد الظالمين إلا خسارا،بيَّن تعالي سبب خسار أولئك الظالمين،وهو إعراضهم عن الله،وبعدهم عنه،ويأسهم من رحمته. [6]

وعند قوله تعالي چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ

(١) الإسراء: ٢٣
(٢) مجالس التذكير ص:70
(٣) الفرقان: ٦٨
(٤) مجالس التذكير ص:220
(٥) الإسراء: ٨٣
(٦) مجالس التذكير ص:147وراجه للمزيد: مجالس التذكير ص:192-193

ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ[1] قال:لمَّا بيَّنت الآية السابقة وجوب الاستئذا ن عند إرادة الانصراف من مجلسه، عليه الصلاة والسلام،بيَّنت هذه الآية وجوب تلبية دعوته إذا دعا،وفضحت حالة الذين يتسللون غير مستأذنين، وحذرت من فعلهم،وأوعدت الوعيد الشديد للمخالفين أمثالهم.[2]

**المناسبة بين آية وآيات سابقة**

عند قوله تعالي ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ[3] قال:لما وصفهم في الآيات المتقدمة،بما دل علي أنهم أهل خير وكمال في أنفسهم..وصفهم في هذه بما دل علي محبتهم الخير والكمال لغيرهم من قرابتهم:أزواجهم، وذريتهم، ومن سواهم.[4]

وفي تفسيره لقول الله تعالي ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ[5] قال:المناسبة:لمَّا ذكر –تعالى–ما قاله المشركون من الباطل في معارضة القرآن، والإعراض والصدَّ عنه،وما قالوه من عبارات الحسرة والندامة يوم القيامة، على ما كان منهم من ذلك في الدنيا –ذكر ما قاله النبي– ﷺ–من الشكوى لربه بهم من تركهم للقرآن العظيم وهجره.[6]

**المناسبة بين السورتين**

وفي هذا النوع من المناسبات أفرد الشيخ ابن باديس للحديث عنه بنوع من التفصيل سور الإخلاص والفلق والناس فذكر المناسب ة بين الفلق والناس قائلاً: «ولهاتين السورتين خصوصية غير المناسبات التي يذكرونها في ارتباط بعض السور بالبعض، ويستخرجون منها بالتدبّر ما لا يحصى من الأنواع، وهذه الخصوصية هي ختم القرآن بهما ويستطيع دارس القرآن ومتدبره ومتقلّبه، بالذهن المشرق والقريحة الصافية،أن يستخرج من الحِكَم في هذا الختم بهما أنواعاً،ولكن

(١) النور: ٦٣
(٢) مجالس التذكير ص: 336
(٣) الفرقان: ٧٤
(٤) مجالس التذكير ص: 235
(٥) الفرقان: ٣٠
(٦) مجالس التذكير ص: 172

أجلاها وأوضحها:أنهما ختم علي كنوز القرآن في نفس المؤمن، وتحصين لهذه النعم المنشأة له من القرآن عليه– قبل أن يكدرها عليه كيد كائد أو حسد حاسد، فإن من أوتي الشيء الكريم ، ورزق النعمة الهنية ،هو الذي تمتد إليه أيدي الأشرار وألسنتهم بالسوء ،وتقذفه عيونهم بالشرر ، وتتطلع إليه نفوسهم بالحسد والبغضاء ، ويشتد عليه تكالبهم سعياً في سلبه منه، أو تكديره عليه، وبقدر النعمة يكون الحسد، وعلى مقدار نفسه ما تملك ، تكون هدفاً لمكائد الكائدين وتأتيك البلايا من حيث تدري ولا تدري.

ومن أوتي القرآن فقد طوى الوحي بين جنبيه، وأوتي الخير الكثير، فهو لذلك مرمى أعين الحاسدين ومهوى أفئدة الكائدين، فكان حقيقاً،وقد ختم القرآن حفظاً أو مدارسة أو تلاوة ،أن يلتجئ إلى الله طالباً منه الحفظ والتحصين من شر كل كيد وحسد يصيبه على هذا الخير العظيم ، الذي كمل له هذه النعمة الشاملة التي تمت عليه."[1]

إلي أن يقول«هذه هي المناسبة العامّة بين جميع القرآن مرتباً ترتيبه التوقيفي، وبين هاتين السورتين(الفلق والناس) في اتحاد موضعها" ثم قال:والمناسبة بين السورتين يرشد إليها اشتراكهما في الوصف،وهو التعوذ بهما من الشرور المذكورة فيهما،وفي السورة الأولي الاستعاذة من الشر العام، ومن ثلاثة أنواع منه،وفي هذه السورة الاستعاذ ة من شر واحد لكنه سبب في شرور كثيرة.[2]

ثم يقوم الشيخ ابن باديس بالإشارة إلي مناسبة أخري بين المعوذتين وسورة الإخلاص حيث يقول"وأما المناسبة الخاصة بين السورتين وبين سورة الإخلاص، فهي:أن سورة الإخلاص قد عرفت الخلق بخالقهم بما فيها من التوحيد والتنزيه والتمجيد.....فتجئ المعوذتان بعد الإخلاص مبينتين لذلك الالتجاء الذي هو من تمام التوحيد. ولأجل هذه المناسبة والارتباط بين السور الثلاثة جمع بينهن في

---

(١) والمناسبة التي أشار إليها مناسبة لطيفة . وقد سبق عدد من العلماء الذين كتبوا في المناسبات إلى ذكر هذه المناسبة.وممن ذكرها العلامة ابن الزبير الثقفي الأندلسي في كتابه (البرهان في تناسب سور القرآن)،حيث قال(385/1):(ولما كمل مقصود الكتاب–أي القرآن – واتضح عظيم رحمة الله به لمن تدبر واعتبر وأناب، كان مظنة الاستعاذة واللجأء من شر الحاسد ، وكيد الأعداء ، فختم بالمعوذتين من شر ما خلق ، وذرأ وشر الثقلين) . ونقله عنه البقاعي في نظم الدرر 588/8، وكذا الرازي في تفسيره .

(٢)مجالس التذكير ص:369 –380بتصرف،استفاده من تفسير الرازي 182/32

التسمية...وكما جمع صلي الله عليه وسلم بينهن في التسمية والتعوذ، جم ع بينهن عملياً في قراءة الوتر.

هذا إجمال المناسبة الخاصة بين السور الثلاث(١)

ومن المهم في مسألة المناسبات في تفسير الشيخ أن ننبه علي أمرين:

الأول:أن عناية الشيخ واهتمامه بذكر المناسبات لم توقعه في التمحل والتكلف في ذكر المناسبة ولم يبحث عن مناسبات بين الآيات في كل موطن بل يذكر ما يوفق إليه من غير تكلف،وكأنه يبتعد عن الوقوع فيما نبه إليه الشيخ عز الدين بن عبد السلام –رحمه الله–حيث قال( المناسبة علم حسن لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدرعلي ه)(٢)

الأمر الثاني:أشار الشيخ في تفسيره إلي مناسبة من نوع خاص وهي مناسبة ذكر الختام للآيات فقد نبه فيما ذكرنا علي مناسبة ختام الفلق والناس للقرآن الكريم وبيَّن في موطنين مناسبة الختام وفائدته قال تعالي چئو ئۇ ئۇ ئو ئو ئۇ ئۇئى ئى ئې ئى ئى ئد ى ى ې ې ئج چ(٣)

قال بعد تفسيره للآية تحت عنوان(فوائد ختام الآية)

فختام هذه الآية تأكيد للنهي السابق.وتفصيل لطرق العلم، وتنبيه على لزوم حفظها واحدة واحدةً. وترهيب للإنسان من إتباع ما لم يعلم بما يؤول إليه أمره من فضيحة يوم القيامة، وخزي بشهادة جوارحه عليه. فالله نسأل أن يجعلنا متبعين للعلم في جميع ما نعمل، ويثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .(٤)

وعند تفسير قول الله تعالي چې ې ې ې ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹچ(٥) قال تحت

(١) مجالس التذكير ص: 370 –371بتصرف وللمزيد من أمثلة المناسبات يراجع ص: 87 ،229 ،233، 235، 240، 243 من مجالس التذكير

(٢) البرهان في علوم القرآن37/1، الإتقان في علوم القرآن، 108/2

(٣) الإسراء: ٣٦

(٤) مجالس التذكير ص:107

(٥) الإسراء: ٣٩

عنوان(ختام الآيات):لمَّا كانت هذه الآيات في أصول الهداية،وأساس الهداية وشرطها التوحيد:ختمت الآيات بالنهي عن الشرك كما بدأت به.(١)

**المطلب السادس: موقفه من القراءات:**

من المعلوم أن هناك علاقة قوية بين القراءات والتفسير وذلك لأن رجحان قراءة من القراءتين يرجح أحد المعنيين المفروضين في تفسير الآية، ورجحان أحد المعنيين قد يرجح إحدى القراءتين علي الأخرى.(٢)

ورغم هذا الأثر البين في التفسير إلا أننا لا نجد في مجالس التذكير إغراق في جانب القراءات،ولعل السبب في ذلك قلة المجموع من تفسيره فلم يصل إلينا من تفسيره للقرآن كاملاً علي مدار ربع قرن من الزمان قضاها يفسر القرآن في الجامع الأخضر إلا هذه النماذج التي كان يجعلها افتتاحيات لجريدة الشهاب،وأمر آخر وهو أن طبيعة المجالس الباديسية في كونها للعامة أكثر منها للمتخصصين،وعلي كل حال فإن التعرض للقراءات في تفسير ابن باديس يعد علي الأنامل

وإليك أيها القارئ الكريم نماذج من هذا الفن

عند تفسيره لقول الله تعالي ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽ(٣) قال (ثج)إشارة إلى جميع ما تقدم من المأمورات والمنهيات على قراءة (سَيِّئُهُ)فالمكروه هو سيء ما تقدم وهو القبائح المنهي عنها، أو إشارة إلى خصوص القبائح على قراءة (سَيِّئَةً)(٤) .

ومن ذلك تفسيره للزبور في قول الله تعالي ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽ(١)الزَّبُورَ بِمَعْنَى الْمَزْبُورِ ؛أَيِ الْمَكْتُوبِ ،والمراد جنس ما أنزل الله من الوحي علي رسله–عليهم

---

(١) مجالس التذكير ص:111

(٢) التفسير ورجاله ص:33 بتصرف،لمحمد الفاضل ابن عاشور .

(٣) الإسراء: ٣٨

(٤) مجالس التذكير ص:110( وَاخْتَلَفُوا )فِي: كَانَ سَيِّئُهُ فَقَرَأَ الْكُوفِيُّونَ ، وَابْنُ عَامِرٍ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَالْهَاءِ وَإِلْحَاقِهَا الْوَاوَ فِي اللَّفْظِ عَلَى الْإِضَافَةِ وَالتَّذْكِيرِ ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ ، وَنَصْبِ تَاءِ التَّأْنِيثِ مَعَ التَّنْوِينِ عَلَى التَّوْحِيدِ . راجع:النشر في القراءات العشر307/2، ابن الجزري، ،وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر 357/1، أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي ، قال ابن العربي:قُرِئَ { سَيِّئُهُ } بِرَفْعِ الْهَمْزَةِ وَبِالْهَاءِ ، وَبِنَصْبِ الْهَمْزَةِ وَالتَّاءِ ، فَمَنْ قَرَأَهُ بِرَفْعِ الْهَمْزَةِ وَالْهَاءِ أَرَادَ أَنَّ الْكَلَامَ الْمُتَقَدِّمَ فِيهِ حُسْنٌ مَأْمُورٌ بِهِ ، وَفِيهِ سَيِّئٌ مَنْهِيٌّ عَنْهُ ، فَرَجَعَ الْوَصْفُ بِالسُّوءِ إلَى السَّيِّءِ مِنْهُ .وَمَنْ قَرَأَهُ بِالْهَمْزَةِ الْمَنْصُوبَةِ وَالتَّاءِ رَجَعَ إلَى مَا نُهِيَ عَنْهُ مِنْهَا ؛ لِأَنَّهُ أَكْثَرُ مِنْ الْمَأْمُورِ بِهِ .وَاخْتَارَ الطَّبَرِيُّ الْأَوَّلَ . أحكام القرآن لابن العربي 203/3.

الصلاة والسلام،وأمر بكتابته. وقرأ حمزة" الزُبور " جمع زبر أي كتاب؛فعينت هذه القراءة أن المراد بالزبور في القراءة الأولي الكتب المنزلة لا خصوص زبور داوود عليه السلام [٢]

وفي قول الله تعالي چيبيتجتحتمتىتيثجثحثمثىثيجحجمچ [٣]قال وقرئ في المتواتر ( يَدْفَعُ )وقرئ(يُدَافِعُ)،وهو بمعني يدفع، ولكنه أريد قوة الدفع فجئ ب"يفاعل"الذي يقتضي المغالبة في أصله.[٤]

وفي قوله تعالي چئۇئۆئۆئۈئۈئېئېئىئىئيبيتجتحچ [٥] قال(مكث)أقام وقرأ عاصم بفتح الكاف.[٦]

**المطلب السابع: موقفه من الإسرائيليات:**

إن الناظر إلي طريقة تناول الشيخ ابن باديس للأحاديث النبوية واهتمامه غاية الاهتمام بالصحيح والعيب علي من قصروا في تحري الآثار المنسوبة إلي النبي المختار –صلي الله عليه وسلم– يدرك ولا شك كيفية تعامله مع الإسرائيلياتِ فرجل يتحري في أمر الأحاديث يصعب عليه أن يتهاون في أخبار نقلها من أسلم من أهل الكتاب، أو نقلها الصحابة عن أهل الكتاب،أو أخذت عن كتبهم كما اشتهر عن عبد الله بن عمرو بن العاص ط أنه كان ينقل عنهم وكذلك ابن عباس ب وغيرهم،ومع أن مجالس التذكير يعد صغير الحجم لكنه تضمن في مواضع منه ما يمكن أن يُعبر عن رأي الشيخ بوضوح في هذه المسألة، وقبل أن نذكر موقف

---

(١) الأنبياء: ١٠٥

(٢) مجالس التذكير ص:346، قَرَأَ حَمْزَةُ وَخَلَفٌ بِضَمِّ الزَّايِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِفَتْحِهَا. إتحاف فضلاء البشر 395/1،ولقد استفاد الإمام ابن باديس هذا المعني مما ذكر الفخر 199/23 والطبري745/18

(٣) الحج: ٣٨

(٤) مجالس التذكير ص:350 ، قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ ، وَالْبَصْرِيَّانِ ( يَدْفَعُ ) بِفَتْحِ الْيَاءِ وَالْفَاءِ ، وَإِسْكَانِ الدَّالِ مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِضَمِّ الْيَاءِ وَفَتْحِ الدَّالِ وَأَلِفٍ بَعْدَهَا مَعَ كَسْرِ الْفَاءِ النشر في القراءات العشر326/2، تحبير التيسير في القراءات العشر471/1، ابن الجزري

(٥) النمل: ٢٢

(٦) مجالس التذكير ص:270،( وَاخْتَلَفُوا ) فِي : فَمَكَثَ فَقَرَأَ عَاصِمٌ ، وَرَوْحٌ بِفَتْحِ الْكَافِ ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِضَمِّهَا. النشر في القراءات العشر337/2،السبعة في القراءات480/1،لابن مجاهد ،تحبير التيسير في القراءات العشر491/1

الشيخ من الإسرائيليات يجدر بنا أن نتعرض في عجالة إلي أقوال العلماء في تقسيم الإسرائيليات.

فللأخبار الإسرائيلية تنقسم إلى أقسام ثلاثة :القسم الأول:مَا عَلِمْنَا صِحَّتَهُ مِمَّا بِأَيْدِينَا من القرآن والسنة مِمَّا يَشْهَدُ لَهُ بِالصِّدْقِ فَذَاكَ صَحِيحٌ، فما وافقه فهو:حق وصدق، وما خالفه فهو: باطل وكذب،وهذا القسم صحيح، وفيما عندنا غنية عنه، ولكن يجوز ذكره، وروايته للاستشهاد به، ولإقامة الحجة عليهم من كتبهم، وذلك مثل : ما ذكر في صاحب موسى عليه السلام، وأنه الخضر فقد ورد في الحديث الصحيح، وفي هذا القسم ورد قوله ﷺ : "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً ، وَحَدِّثُوا عن بَنِي إِسْرَائِيلَ ولا حَرَجَ،وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من النَّارِ "[1]

قال الحافظ في الفتح :أي:لا ضيق عليكم في الحديث عنهم ؛ لأنه كان تقدم منه ﷺ الزجر عن الأخذ عنهم، والنظر في كتبهم، ثم حصل التوسع في ذلك، وكان النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية، والقواعد الدينية ؛ خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك، لما في سماع الأخبار التي كانت في زمنهم من الاعتبار.[2]

القسم الثَّانِي:مَاعَلِمْنَا كَذِبَهُ بِمَا عِنْدَنَا مِمَّا يُخَالِفُهُ. وذلك مثل:ما ذكروه في قصص الأنبياء، من أخبار تطعن في عصمة الأنبياء عليه الصلاة والسلام، كقصة يوسف، وداود، وسليمان ومثل : ما ذكروه في توراتهم :من أن الذبيح إسحاق، لا إسماعيل، فهذا لا تجوز روايته وذكره إلا مقترناً ببيان كذبه،وأنه مما حرفوه، وبدلوه، قال تعالى : چۓ ڭ ڭ ڭ ڭچ[3] وفي هذا القسم : ورد النهي عن النبي ﷺ للصحابة عن روايته، والزجر عن أخذه عنهم، وسؤالهم عنه، قال الإمام مالك رحمه الله في حديث : "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" : المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن:أما ما عُلِم كذبه فلا.[4]

القسم الثالث : مَا هُوَ مَسْكُوتٌ عَنْهُ لَا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ وَلَا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ فَلَا نُؤْمِنُ بِهِ وَلَا نُكَذِّبُهُ وَتَجُوزُ حِكَايَتُهُ لِمَا تَقَدَّمَ من الإذن في الرواية عنهم، لاحتمال أن يكون حقا فنكذبه، أو باطلاً فنصدقه، وَغَالِبُ ذَلِكَ مِمَّا لَا فَائِدَةَ فِيهِ تَعُودُ إِلَى أَمْرٍ دِينِيٍّ،

(١) صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء،باب ما ذكر عن بني إسرائيل.1275/3ح 3274
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري 6 /498
(٣) المائدة: ٤١
(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري6 / 498

وَلِهَذَا يَخْتَلِفُ عُلَمَاءُ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي مِثْلِ هَذَا كَثِيرًا وَيَأْتِي عَنْ الْمُفَسِّرِينَ خِلَافٌ بِسَبَبِ ذَلِكَ:

ولعل هذا القسم هو المراد بما رواه أبو هريرة، قال :"كان أَهْلُ الْكِتَابِ يقرؤون التَّوْرَاةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ،وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ،فقال رسول اللَّهِ ﷺ :"لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ،ولا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا(آمَنَّا بِاللَّهِ وما أُنْزِلَ إِلَيْنَا وما أُنْزِلَ إلى ) الْآيَةَ "[1] الآية، ومع هذا:فالأولى عدم ذكره،وأن لا نضيع الوقت في الاشتغال به[2]

قال الدكتور محمد حسين الذهبي –رحمه الله–ولا تعارض بين هذين الحديثين، يعني قوله صلي الله عليه وسلم( حَدِّثُوا عن بَنِي إِسْرَائِيلَ ولا حَرَجَ )وقوله ﷺ ( لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ،ولا تُكَذِّبُوهُمْ) لأن الأول أباح لهم أن يُحَدِّثوا عما وقع لبنى إسرائيل من الأعاجيب، لما فيها من العبرة والعظة، وهذا بشرط أن يعلموا أنه ليس مكذوباً، لأن الرسول ﷺ لا يعقل أن يبيح لهم رواية المكذوب.[3]

أما عن موقف ابن باديس من الإسرائيليات فقد ظهر في تفسيره لقول الله چئۆ ئۇ ئۇ ئې ئې ئۈ ئۈ ئۆ ئۆ ئۇ ئۇ ى ى ې ې ئج ئح چ[4]

حيث قال تحت عنوان:(تحقيق تاريخي)

رُويت في عظم ملك سليمان روايات كثيرة ليست على شيء من الصحة، ومعظمها من الإسرائيليات الباطلة التي امتلأت بها كتب التفسير، ممّا تُلُقِّيَ من غير تثبت ولا تمحيص من روايات كعب الأحبار ووهب بن منبه، وروى شيئاً من ذلك الحاكم في مستدركه وصرح الذهبي ببطلانه [5]، ومن هذه المبالغات الباطلة أنه ملك الأرض

---

(١) صحيح البخاري كتاب "الاعتصام بالكتاب والسنة"،باب قول النبي صلى الله عليه وسلم:"لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء"6/2679ح 6928

(٢) ينظر في هذه المسألة: مقدمة في أصول التفسير ص:41 لشيخ الإسلام ا بن تيمية ، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص:106الدكتور/محمد بن محمد أبو شهبة التفسير والمفسرون 121/1وما بعدها، الدكتور محمد السيد حسين الذهبي

(٣) التفسير والمفسرون للذهبي 125/1

(٤) النمل: ٢٢

(٥) أخبرنا أبو سعيد الأخمسي ثنا الحسين بن حميد ثنا الحسين بن علي السلمي حدثني محمد بن حسان عن محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه قال : أعطي سليمان بن داود ملك مشارق الأرض و مغاربها فملك سليمان بن داود سبعمائة سنة و ستة أشهر ملك أهل الدنيا كلهم من الجن و الإنس و الشياطين و الدواب و الطير و السباع و أعطي علم كل شيء و منطق كل شيء و في زمانه صنعت الصنائع المعجبة التي ما سمع بها الناس و سخرت له فلم يزل مدبرا

كلها مشارقها ومغاربها، فهذه مملكة عظيمة "بسبأ" كانت مستقلة عنه ومجهولة لديه على قرب مابين عاصمتها باليمن وعاصمته بالشام .[1]

ونحن نلاحظ أن الشيخ ابن باديس نبه علي بطلان مثل هذه الأخبار التي لا يوافقها عقل،ولا تعتمد علي صحيح نقل،بل ويؤكد هذا البطلان بما استدركه الذهبي في التلخيص علي الحاكم أبي عبد الله في المستدرك،

بل إنه لا ينساق وراء ما لا طائل تحته من تفاصيل تتعلق بقصة ما، لقناعته بأن القرآن الكريم إنما يتعرض للقصة بقدر ما فيها من العبرة، ول و كانت العبرة متوقفة علي بقية تفاصيلها لما أغفلها القرآن الكريم

فنراه يقرر ذلك عند تفسيره لقول اللهتعاليچک ک ک گ گ چ[2]قال:هبطوا إليه من مكان أعلي منه، وهو بالشام أو بالحجاز،لم تتوقف العبرة علي تعيينه فلم يُعين.[3]

غير أنه قد يستشهد بما في كتب أهل الكتاب علي أمر ينكرونه كما فعل عندما دلل علي وجود حد الرجم في كتب أهل الكتاب وهم يدَّعون خلافه .

ومن ذلك ما نقله عند تفسيره لقول اللهتعاليچڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ چ[4] من كتبهم قال الشيخ"في أول الإصحاح العشرين من سفر اللاويين التصريح برجم الزناة، فأبطل أحبارهم هذا الحكم وعوضوه بغيره من التخفيف،وكتموا النص؛فبينه لهم النبي والقصة مشهورة في كتب السنن[5]

---

بأمر الله و نوره و حكمته حتى إذا أراد الله أن يقبضه أوحى إليه أن استودع علم الله و حكمته أخاه و ولد داود و كانوا أربع مائة و ثمانين رجلا بلا رسالة . المستدرك على الصحيحين، 643/2ح4139 الحاكم النيسابوري، تعليق الذهبي في التلخيص:هذا باطل

(١) مجالس التذكير ص:272

(٢) النمل: ١٨

(٣) مجالس التذكير ص:261

(٤) المائدة: ١٥

(٥) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، أَنَّهُ قَالَ :إِنَّ الْيَهُودَ جَاؤُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ رَجُلا مِنْهُمْ وَامْرَأَةً زَنَيَا،فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم :مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ مِنْ شَأْنِ الرَّجْمِ ؟، قَالُوا :نَفْضَحُهُمْ ،وَيُجْلَدُونَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ: كَذَبْتُمْ إِنَّ فِيهَا الرَّجْمِ ، فَأَتَوْا بِالتَّوْرَاةِ ،فَنَشَرُوهَا فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ ، فَقَرَأَ مَا قَبْلَهَا ، وَمَا بَعْدَهَا ،فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ :ارْفَعْ يَدَكَ ، فَرَفَعَ يَدَهُ ، فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ ، فَقَالُوا : صَدَقَ يَا مُحَمَّدُ فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَرُجِمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَجْنَأُ عَلَى الْمَرْأَةِ يَقِيهَا الْحِجَارَةَ.صحيح البخاري كِتَاب الْمَنَاقِبِ بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى(يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) 1330/3ح3436

ثم قال"جاءت صفات النبي التي لا تنطبق علي غيره فكتموها،مثل قول عيسي في الفقرة الثانية عشرة وما بعده ا في الإصحاح السادس عشر من إنجيل يوحنا: "إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن إمامتى، جاء ذاك روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية، ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم"[١]

وقال أيضاً"صرح عيسي ﷺ بأن الله هو الإله وحده،وأن عيسي رسوله، فكتموها وقالوا فيه ما قالوا. وجاء في الفقرة الثانية من الإصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا، قول عيسي عليه السلام: وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته".[٢] وأمثال هذا فيما عندهم كثير[٣]

والأمر في هذه النقول التي ذكرها ترجع إلي النوع الأول الذي ذكرناه من أنواع الإسرائليات وهو ما وافق شرعنا و عَلِمْنَا صِحَّتَهُ مِمَّا بِأَيْدِينَا من القرآن والسنة مِمَّا يَشْهَدُ لَهُ بِالصِّدْقِ فَذَاكَ صَحِيحٌ، وهو ما استشهد به الشيخ في بيان الآية،أما ما قاله في شأن ملك سليمان عليه السلام فذاك من النوع الثاني مَا عَلِمْنَا كَذِبَهُ بِمَا عِنْدَنَا مِمَّا يُخَالِفُهُ وهو ما شنع عليه الشيخ.

## المطلب الثامن: موقف ابن باديس من النسخ

يقرر الشيخ رحمه الله أن النسخ في الأحكام من محاسن الشريعة ويبين ذلك عند تفسيره لقول الله تعالي:چئوئۇئۆئۆئۈئۈئېئېئىئىيييئجچ[٤] قال:من محاسن الشريعة المطهرة،أنها نزلت بالتدريج المناسب...ومن محاسنها نسخ الحكم عند انتهاء المصلحة التي اقتضت تشريعه وانقضاء زمنها لحكم آخر انسب منه للبقاء في الأزمان. كما كان في آيتي المتوفى عنها في سورة البقرة[٥]

ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى: چۆۈۇۆۈۋچ[٦]قال:فهو أدب مشروع مؤكد وحكم دائم محكم،وهو في معاملات الأفراد كما ترى .فلا ينافي ما شرع من

(١) (يوحنا 26/15(-14/16)
(٢) (يوحنا 2/17-3).
(٣) مجالس التذكير ص:328-329
(٤) الفرقان: ٣٢
(٥) مجالس التذكير ص:180-181
(٦) الفرقان: ٦٣

الحرب عند وجود أسبابها، وتوفر شروطها بين الأمم والجماعات، وهي من الأمور العامة كما ترى.

فبطل قول من زعم أن هذه الآية بالنسبة لغير المسلم منسوخة بآية السيف، لأن هذه الآية حكمها في حال وآية السيف ثابت حكمها في حال أخرى ، فلا تنسخ إحداهما الأخرى. وما أكثر ما قُتلت أحكام بآية السيف هذه!وهي عند التحقيق غير معارضة لها؛ لمباينة حالها لحالها.(١)

ونقل عن ابن عباس في قول الله تعالي ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁﵂﵃﵄﵅﵆﵇﵈﵉﵊ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ﹀﹁﹂﹃﹄﹅﹆﹇﹈﹉﹊﹋﹌﹍﹎﹏ﹰﹱﹲﹳﹴﹶﹷﹸﹹﹺﹻﹼﹽﹾﹿﺀﺁﺂﺃﺄﺅﺆﺇﺈﺉﺊﺋﺌﺍﺎﺏﺐﺑﺒﺓﺔﺕﺖﺗﺘﺙﺚﺛﺜﺝﺞﺟﺠﺡﺢﺣﺤﺥﺦﺧﺨﺩﺪﺫﺬﺭﺮﺯﺰﺱﺲﺳﺴﺵﺶﺷﺸﺹﺺﺻﺼﺽﺾﺿﻀﻁﻂﻃﻄﻅﻆﻇﻈﻉﻊﻋﻌﻍﻎﻏﻐﻑﻒﻓﻔﻕﻖﻗﻘﻙﻚﻛﻜﻝﻞﻟﻠﻡﻢﻣﻤﻥﻦﻧﻨﻩﻪﻫﻬﻭﻮﻯﻰﻱﻲﻳﻴﻵﻶﻷﻸﻹﻺﻻﻼ (٢) قال ابن عباس في هذه الآية إنها آية مكية نسختها آية مدنية وهي آية الفرقان ﭽﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁﵂﵃﵄﵅﵆﵇﵈﵉﵊ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ﹀﹁﹂﹃﹄﹅﹆﹇﹈﹉﹊﹋﹌﹍﹎﹏ﹰﹱﹲﹳﹴﹶﹷﹸﹹﹺﹻﹼﹽﹾﹿﺀﺁﺂﺃﺄﺅﺆﺇﺈﺉﺊﺋﺌﺍﺎﺏﺐﺑﺒﺓﺔﺕﺖﺗﺘﺙﺚﺛﺜﺝﺞﺟﺠﺡﺢﺣﺤﺥﺦﺧﺨﺩﺪﺫﺬﺭﺮﺯﺰﺱﺲﺳﺴﺵﺶﺷﺸﺹﺺﺻﺼﺽﺾﺿﻀﻁﻂﻃﻄﻅﻆﻇﻈﻉﻊﻋﻌﻍﻎﻏﻐﻑﻒﻓﻔﻕﻖﻗﻘﻙﻚﻛﻜﻝﻞﻟﻠﻡﻢﻣﻤﻥﻦﻧﻨﻩﻪﻫﻬﻭﻮﻯﻰﻱﻲﻳﻴﻵﻶﻷﻸﻹﻺﻻﻼ (٣) ومراده بالنسخ التخصيص:يعني أن لفظة من في( ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁﵂﵃﵄﵅﵆﵇﵈﵉﵊ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ﹀﹁﹂﹃﹄﹅﹆﹇﹈﹉﹊﹋﹌﹍﹎﹏ﹰﹱﹲﹳﹴﹶﹷﹸﹹﹺﹻﹼﹽﹾﹿﺀﺁﺂﺃﺄﺅﺆﺇﺈﺉﺊﺋﺌﺍﺎﺏﺐﺑﺒﺓﺔﺕﺖﺗﺘﺙﺚﺛﺜﺝﺞﺟﺠﺡﺢﺣﺤﺥﺦﺧﺨﺩﺪﺫﺬﺭﺮﺯﺰﺱﺲﺳﺴﺵﺶﺷﺸﺹﺺﺻﺼﺽﺾﺿﻀﻁﻂﻃﻄﻅﻆﻇﻈﻉﻊﻋﻌﻍﻎﻏﻐﻑﻒﻓﻔﻕﻖﻗﻘﻙﻚﻛﻜﻝﻞﻟﻠﻡﻢﻣﻤﻥﻦﻧﻨﻩﻪﻫﻬﻭﻮﻯﻰﻱﻲﻳﻴﻵﻶﻷﻸﻹﻺﻻﻼ )عامة،تشمل القاتل فتقتضي بعمومها أن له توبة. أن آية الفرقان التي جاءت في القاتل خصصتها وأخرجته من عمومها.(٤)

## المطلب التاسع: موقف ابن باديس من وجوه إعجاز القرآن.

نظر الشيخ ابن باديس إلي إعجاز القرآن من ناحية بلاغته،وإخباره بالغيبيات، واشتماله علي أصول الهداية،وإلي كثير من الوجوه،ولنجعله يعبر بألفاظه الرقراقة عن وجوه الإعجاز التي فطن إليها أثناء حديثه عن تفسير الآيات القرآنية فقد ذكر أن "القرآن أعجز العرب ببلاغته،حتى عرفوا –وعرف العلماء بلسانهم المرتاضين ببيانهم–أنه ليس مثله من طوق البشر.هذه هي الناحية الظاهرة في إعجاز القرآن والاستدلال به له ولمن أتي به صلي الله علية وسلم

وهنالك ناحية أخري هي أعظم وأعم: وهي ناحيته العلمية التي يذعن لها كل ذي فهم من جميع الأمم،في كل قطر وفي كل زمن. وهذه هي الناحية التي احتج بها

---

(١) مجالس التذكير ص:196

(٢) الفرقان: ٧٠

(٣) النساء: ٩٣

(٤) مجالس التذكير ص:227 وفي صحيح مسلم عن سَعِيدِ بن جُبَيْرٍ قال قلت لابن عَبَّاسٍ أَلِمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا من تَوْبَةٍ قال لَا قال فَتَلَوْتُ عليه هذه الْآيَةَ التي في الْفُرْقَانِ ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مع اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ولا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ التي حَرَّمَ الله إلا بِالْحَقِّ ) إلى آخِرِ الْآيَةِ قال هذه آيَةٌ مَكِّيَّةٌ نَسَخَتْهَا آيَةٌ مَدَنِيَّةٌ (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا ) وفي رِوَايَةِ بن هَاشِمٍ فَتَلَوْتُ هذه الْآيَةَ التي في الْفُرْقَانِ (إلا من تَابَ ) كِتَاب التَّفْسِيرِ2318/4ح 3023

في هذا الموطن: فقد استدل علي أن القرآن لا يمكن أن يكون أتي به محمد من عنده،ولا يمكن أن يستعين عليه بغيره،ولا أن يكون من أوضاع الأوائل،بأنه ينطوي علي أشياء من أسرار هذا الكون لا يعلمها إلا خالقه، فمن ذلك:ما أنبأ أبه من أسرار الأمم الخالية،وبيَّن من أسرار الكتب الماضية. وما أنبأ من أحداث مستقبلة،وما ذكر من حقائق كونية،كانت لذلك العهد عند جميع البشر مجهولة؛ كالزوجية في كل شئ،وسبح الكواكب في الفضاء، وسير الشمس إلي مستقر مجهول معين عند الله لها.وغير ذلك من أسرار العمران والاجتماع،وما تصلح عليه حياة الإنسان،مما تتوالي علي تصديقه تجارب العلماء إلي اليوم وما بعد اليوم فكتاب اشتمل علي كل هذه الأسرار لا يمكن أن يأتي به مخلوق.[١]

وفي بيان الواقعة عند وقوعها، وذك ر حكم الحادثة عند حدوثها، ور د الشبهة عند عروضها، وإبطال الاعتراض عند وروده– ما فيه من تأثير في النفوس، ووق ع في القلوب، ورسوخ في العقول، وجلاء في البيان، وبلاغة في التطبيق، واستيلا ء علي السامعين.وما كان هذا كله ليأتي لولا تفريق الآيات في التنزيل، وترتيلها وتنضديها هذا الترتيل العجيب، وهذ ا التنضيد الغريب، الذ ي بلغ الغاية من الحسن والمنفعة، حت ى انه ليصح أن يُعد وحده وجهاً من وجوه الإعجاز.[٢]

وتكلم عن إعجاز القرآن في جمعه لأصول الهداية في ثمان عشرة آية قائلاً : وهذه الآيات الثمان عشرة قد جمعت من أصول الهداية ما تبلغ به النفوس إذا تمسكت به غاية الكمال.[٣]وهي الآيات من قوله:چڑڑکککگگگچ[٤]إلى قوله چٱٻٻپپپپ ڀڀڀڀٺٺٺٺٿٿچ[٥]

ثم قال منبهاً علي ذلك :فهذه ثمان عشرة آية من سورة الإسراء قد أتت في إيجاز ووضوح على أصول الهداية الإسلامية كلها، وأحاطت بأسباب السعادة في الدارين من جميع وجوهها

وهي فوق بلاغتها التي عرف العرب إعجازها بسليقتهم،وأدركه علماء البيان بعلمهم ومرانهم،قد جاءت معجزة للخلق من أي جنس كانوا،أو بأي لغ ة نطقوا،بما جمعت

(١) مجالس التذكير ص:160
(٢) مجالس التذكير ص:181
(٣) مجالس التذكير ص:74
(٤) الإسراء: ٢٢
(٥) الإسراء: ٣٩

من أصول الهداية التي تدركها الْفِطَرُ ،وتسلمها العقول.وإنك لست واجداً مثلها في مقدارها وأضعاف مقدارها من كلام الخلق بجمع ما جمعت من هدي وبيان. وهذا أحد وجوه إعجاز القرآن العامة التي تقوم بها حجته علي الناس أجمعين.(١)

**المطلب العاشر: رأي ابن باديس في التفسير العلمي.**

التفسير العلمي هو دراية المفسر أو ما فهمه المفسر من الآية في ضوء معلوماته الشخصية أو المعلومات التي تتاح في عصره أو في البيئة التي يعيش فيها.والآيات التي تتكلم عن العلوم الكونية كثيرة،ومعرفة الناس بالحقائق الكونية تتطور من جيل إلى جيل، ولا شك أن معظم هذه العلوم الكونية تزيد معرفة المفسرين بالحقائق المتعلقة بتلك الآيات، والمفسر عندما يفسر الآيات يفسرها بدرايته ومعلوماته في جيله.(٢).

ولقد اهتم كثير من العلماء بكشف ما في آيات القرآن من إعجاز علمي حتى صار هذا اللون له شيوع وذيوع بين المفسرين،ورغم أن بعض المفسرين قد بالغوا في ربط الآيات بالنظريات أو بالمستحدثات في العلوم التطبيقية إلا أن لهذا اللون ميزات كثيرة إذا ما وقع علي وفق الضوابط التي وضعها العلماء للمشتغلين فيه

أما عن موقف الشيخ ابن باديس رحمه الله من هذا اللون من التفسير فرأيه جلي في وجوب استخراج ما في القرآن من آيات كونية كانت أو شرعية، وهو إذ يقبل هذه الطريقة في التفسير يَحذر أن ينزلق فيما عيب علي غيره من تحكيم النظريات في الآيات بل يجعل القرآن هو المنبع والمعين الفاصل في صحة ما توصل العلماء إليه من عجائب الأكوان.

يقول –رحمه الله– وعرض القرآن علينا هذا الكون وعجائبه، ونبهنا على ما فيه من عجائب الحكمة ومصادر النعمة لننظر ونبحث ونستفيد ونعمل؛ فهجرنا ذلك كله إلى خريدة العجائب وبدائع الزهور والحوت والصخرة وقرون الثور! (٣)،ودعانا

---

(١) مجالس التذكير ص:61

(٢) مجلة الإعجاز العلمي العدد التاسع صفر 1422هـ من حوار مع الشيخ عبد المجيد الزنداني الأمين الأسبق لهيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة

(٣) أشار الشيخ بهذه العبارة إلي ما انشغل به الناس من الأخبار الباطلة،والكتب الرديئة والإسرائيليات في فهم الآيات وتركوا ما في القرآن من أنوار وتبيان.كاهتمامهم بخبر حوت يونس –عليه السلام –مما فيه من الأخبار الإسرائيلية العجيبة. وكتاب(خريدة العجائب وفريدة

القرآن إلى تدبره وتفهمه والتفكر في آياته،ولا يتم ذلك إلا بتفسيره وتبيينه ؛ فأعرضنا عن ذلك وهجرنا تفسيره وتبيينه (١) ولقد نبه الشيخ إلي طريق القرآن الكريم،وحثه الناس أن يبحثوا في علوم الأكوان،وما أُرشدوا إليه من وجوب التذكر والتدبر في الآفاق والأنفس،فعدّ تفسيره لقول الله تعالي چڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ چچ (٢) قال تحت عنوا ن(تشويق القرآن إلي علوم الأكوان):من أساليب الهداية القرآنية إلي العلوم الكونية،أن يعرض علينا القرآن صوراً من العالم العلوي والسفلي،في بيان بديع جذاب،يشوقنا إلي التأمل فيها، والعمق في أسرارها. وهنا يذكر لنا ما خبأه في السماوات والأرض لنشتاق إليه،وننبعث في البحث عنه، واستجلاء حقائقه،ومنافعه؛ بدافع غريزة حب الاستطلاع، ومعرفة المجهول.وبمثل هذا انبعث أسلافنا في خدمة العلم،واستثمار ما في الكون،إلي أقصي ما استطاعوا، ومهدوا بذلك السبيل لمن جاء بعدهم.ولن نعز عزهم إلا إذا فهمنا الدين فهمهم، وخدمنا العلم خدمتهم.(٣)

وعند قول الله تعالي چڤ ڤ چ (٤)

قال:فليذكر الناظر في خلق الله،وقدره،وشرعه،وكلامه،دائماً هذه الحقيقة:وهي ثبوت الحق والحكمة والنعمة في جميعها،وإمكان عجز عقله في بعض المواضع والأحوال عن إدراكها؛ فيكون عمله في خلق الله هو النظر والبح ث والتحليل والاكتشاف،واستجلاء الحقائق الكونية،واستخراج الفوائد العلمية والعملية، إلي أقصي حد توصله إليه معلوماته وآلاته

حتى إذا انتهي إلي مشكل استغلق عليه اعترف بعجزه، ول م يرتكب من الأوهام والفروض البعيدة ما يكسو الحقيقة ظلمة، ويوق ع الباحث من بعده في ضلالة أو

---

الغرائب) مؤلفه: سراج الدين أبو حفص عمر بن الوردي وكتاب( بدائع الزهور في وقائع الدهور.) لمحمد بن أحمد بن إياس الحنفي المتوفى 930هـ. تحقيق :محمد مصطفى. مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة. وهما من الكتب الطافحة بالمَوْضُوعات والأكاذيب المتداولة بين الناس، كما نَبَّه على ذلك حُفَّاظُ الحديث.

(١) مجالس التذكير ص:174

(٢) النمل: ٢٥

(٣) مجالس التذكير ص:276-277

(٤) يس: ١

حيرة. فكثيراً ما كانت الفروض الوهمية الموضوعة موضع اليقينيات،سبباً في صد العقول عن النظر ،وطول أمد العقل والجهل.(١)

ويتكلم عن القرآن قائلاً: إنه حكيم،فما فيه من العلم وأصول العمل،لا يمكن أن يكون إلا من عند الله،وفي عقائده ودلائلها وأحكامها وحكمها وآدابه وفوائدها. إلي ما فيه من حقائق كونية، كانت مجهولة عند جميع البشر، وم ا عرفت لهم إلا في هذا العصر الأخير.ومن أشهرها مسألة الزوجية الموجودة في جميع هذا الكون حتى أصغر جزء منه،وهو الجوهر الفرد المركب من قوتين:موجبة وسالبة.جاءت هذه المسألة في آيات كثيرة منها قول ه تعالي: چئىىيىئجئحئمچ(٢)ومنها مسألة حياة النبات،التي جاءت في مثل قوله تعالي چںڻڻڻۀچ(٣)ومنها مسألة تلاقح النباتات بواسطة الرياح التي تنقل مادة التكوين من الذكر إل ي الأنثى،جاءت في آيات كثيرة،منها قوله تعالي چڈڈژچ(٤)فهذه حقائق علمية كونية، أجمع عليها علماء العصر أنها من المكتشفات الحديثة،ولم تكن معلومة عند أحد من الخلق قبل اكتشافها، ولا كانت عندهم من الآلات الموصلة إلي معرفتها. وكفي بهذا القل من الكثر دليلاً علي أن هذا القرآن ما كان إلا من عند الله الذي خلق الأشياء كلها،ويعلم حقائقها.(٥)

ويقول"إنَّ القرآن كتاب الدهر ومعجزته الخالدة، فلا يستقلّ بتفسيره إلا الزمن. وكذلك كلام نبيّنا (صلي الله عليه وآله وسلم) المبين له. فكثير من متون الكتاب والسنّة الواردة في معضلات الكون ومشكلات الاجتماع، لم تفهم أسرارها ومغازيها إلا بتعاقب الأزمنة، وظهور ما يصدقها من سنن الله في الكون. وكم فسّرت لنا حوادث الزمن واكتشافات العلم من غرائب آيات القرآن ومتون الحديث، وأظهرت منها للمتأخرين ما لم يظهر للمتقدّمين، وأرتنا مصداق قوله (صلي الله عليه وآله وسلم) في وصف القرآن:"لا تَنْقَضِي عَجائِبُهُ "(٦). والعلماء القوّامون على كتاب الله وسنة

(١) مجالس التذكير ص:285
(٢) الذاريات: ٤٩
(٣) الأنبياء: ٣٠
(٤) الحجر: ٢٢
(٥) مجالس التذكير ص: 292-293
(٦) هذا بعض حديث أخرج ه الترمذي في سننه ، كتاب فضائل القرآن ،باب ما جاء في فضل القرآن، رقم :2906) من طريق حمزة الزَّيَّات عن أَبي المُختَارِ الطائِيّ عَن ابنِ أَخِي الحارِثِ

رسوله لا يتلقّونها بالفكر الخامد والفهم الجامد، إنّما يترقّبون من سنن الله في الكون وتدبيره في الاجتماع ما يكشف لهم عن حقائقهما، ويكلون إلى الزمن وأطواره تفسير ما عجزت عنه أفهامهم. وقد أثر عن جماعة من فقهاء الصحابة بالقرآن قولهم في بعض هذه الآيات: لم يأت مصداقها أو تأويلها بعد[1]؛ يعنون أنّه آت، وأنَّ الآتي به حوادث الزمان، ووقائع الأكوان، وكلّ عالم بعدهم فإنما يعطي صورة زمنه بعد أن يكيّف بها نفسه» (٢)

وعند تفسيره لقول الله تعالي چ ئېئىئىئېچ(٣)قال:تحت عنوان (دقيقة كونية في الآية

---

الأَعوَرِ عن الحارث عن علي مرفوعاً، وقال عقبه:(هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لا نَعرِفُهُ إلا مِن هَذَا الوَجهِ، وَإِسنَادُهُ مَجهُولٌ وَفِي الحَارِثِ مَقَالٌ ).أهـ172/5، 173 ،وأخرجه الدرامي من نفس الطريق (كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن،رقم:(3331)، وأخرجه الإمام أحمد (رقم:706) عن علي مرفوعاً، والراوي عن علي هو الحارث أيضا كما هو الحال في إسناد الترمذي والدارمي.

وله شاهد من حديث ابن مسعود عند الدارمي في نفس الباب الماضي ،رقم:3315، ولفظه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ : ( إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللَّهِ فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَأْدُبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللَّهِ وَالنُّورُ الْمُبِينُ وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ وَنَجَاةٌ لِمَنْ اتَّبَعَهُ لَا يَزِيغُ فَيَسْتَعْتِبُ وَلَا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ فَاتْلُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْجُرُكُمْ عَلَى تِلَاوَتِهِ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ الم وَلَكِنْ بِأَلِفٍ وَلَامٍ وَمِيمٍ)، وهو ضعيف فيه إبراهيم الهجري وهو لين الحديث يرفع الموقوفات كما قال ابن حجر في التقريب(ص:116). 173 وضعفه الإمام الألباني، في ضعيف سنن الترمذي 303، وقد وثق الحديث موقوفاً بعض العلماء، قال العلامة ابن كثير رحمه الله: (وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلامٌ حسن صحيح،على أنه قد روى له شاهدٌ عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم)، ثم ذكر الشاهد انظر فضائل القرآن لابن كثير ص 46/1.

(١) رَوَى أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ:{هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ} [الأنعام: 65] فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَمَا إِنَّهَا كَائِنَةٌ وَلَمْ يَأْتِ تَأْوِيلُهَا بَعْدُ " مسند الإمام أحمد بن حنبل3/68ح1466

وسنن الترمذي5/112ح 3066- وابن أبي حاتم في تفسيره تفسير سورة الأنعام، رقم349 قال الترمذي كما في تفسير ابن كثير 265/3 هذا حديث غريب وفي النسخ المطبوعة في السنن حسن غريب. كما ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف سنن الترمذي رقم592.

(٢) مجالس التذكير ص:377

(٣) الذاريات: ٤٨

القرآنية)يقول "شا ن الفراش أن يكون ما تحته لا يصلح للجلوس والنوم عليه.وما تحت وجه الأرض هو كذلك لا يصلح للحياة فيه؛فان تحت القشرة العليا من الأرض،المواد المصهورة،والمياه المعدنية،والأبخرة الحارة،مما تنطق به البراكين المنتشرة علي وجه الأرض في أماكن عديدة؛ فكانت القشرة العليا من الأرض مثل الفراش تماما. (١) وعند تفسيره لقول الله تعالي ﭽﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁﵂﵃ﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻﭼ(٢) قال:تحت عنوان(آية كونية في الآية القرآنية):من الأزواج ما هو ظاهر مشاهد معلوم من قديم مثل السماء والأرض،والليل والنهار ،والحر والبرد،والذكر والأنثى في الحيوان وبعض النبات.ومنها ما كشفه العلم بما مهد الله له من أسباب كالجزء الموجب والجزء السالب في القوة الكهربائية وفي الذرة التي هي أصل التكوين،فلا فردية إلا لخالق هذه الأزواج كلها،الذي أنبأنا بها قبل أن تصل إلي تمام معرفتها العقول،فكانت من معجزات القرآن العلمية التي يفسرها الزمان بتقدم الإنسان في العلم والعمران.(٣) وهو يقف في استخدام التفسير العلمي عند اليقينيات أما ما كان في طور التجربة فهذا مما لا يحسن ربطه بالقرآن وفي ذلك يقول "ففي آيات الله الكونية حقائق كثيرة تقف العقول حيارى أمامها،وقد تشهد آثارها،ولا تستطيع أن تعرف كنهها،كحقيقة الكهرباء في الكون،وحقيقة الروح والعقل في الإنسان. فمثل هذه الحقائق المنغلقة التي يرتد عقل الإنسان إليه عنها خاسئا وهو حسير، هي التي تعرفه بقدره،وبعظمة هذا الكون،وفخامة أمره، فيقف بعقله عند حد النظر والاعتبار ،والاستدلال ببديع الصنعة وعظيم النعمة علي حكمة الله البالغة، ومنته السابغة، دون خلط للأوهام بالحقائق،ولا فتنة بالمخلوق عن الخالق. (٤)

**المطلب الحادي عشر: موقف ابن باديس من التفسير الإشاري.**

التفسير الصوفي الإشاري له تعريفات متعددة لعل أشملها وأدقها ما عرَّفه به الشيخ الصابوني حيث قال :"التفسير الإشاري هو تأويل القرآن على خلاف ظاهره، لإشارات خفية تظهر لبعض أولي العلم، أو تظهر للعارفين بالله من أرباب السلوك والمجاهدة للنفس، ممَّن نور الله بصائرهم فأدركوا أسرار القرآن العظيم،أو انقدحت

(١) مجالس التذكير ص:358
(٢) الذاريات: ٤٩
(٣)مجالس التذكير ص:359-360
(٤) مجالس التذكير ص: 284

في أذهانهم بعض المعاني الدقيقة،بواسطة الإلهام الإلهي أو الفتح الرباني ،مع إمكان الجمع بينهما وبين الظاهر المراد من الآيات الكريمة ".[١]

ومع أنَّ الشيخ ابن باديس كان يعيب علي الصوفية ويشنع عليهم في كثير من كتاباته ومقالاته ومنها التفسير الذي بين أيدينا إلا أنه لا يُخفي إعجابه ببعض العبارات الرائقة العذبة التي يلقيها بعض الصوفية،بل قد يستشهد بها كما جاء ذلك عند تفسيره لقول الله تعالي چڑڑۓۓڭڭېېچ[٢] وضع عنوان(تدقيق لغوي وغوص علمي)قال فيه: سألَ سُلَيْمَانُ: عن حال نفسه، فقال: مَا لِي لَا أَرَى الْهُدْهُدَ.؟ولم يسال عن حال الهدهد فيَقُلْ :مَا لِلْهُدْهُدِ لَا أَرَاهُ ؛ فأنكر حال نفسه قبل أن ينكر حال غيره.ثم قال:فنقل الحافظ الإمام ابن العربي عن الإمام عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ هَوَازِنَ القشيري[٣] وَشَيْخُ الصُّوفِيَّةِ في زمانه قال:"إنَّمَا قَالَ:مَالِي لَا أَرَى الْهُدْهُدَ؛ لِأَنَّهُ اعْتَبَرَ حَالَ نَفْسِهِ ؟ إذْ عَلِمَ أَنَّهُ أُوتِيَ الْمُلْكَ الْعَظِيمَ، وَسُخِّرَ لَهُ الْخَلْقُ، فَقَدْ لَزِمَهُ حَقُّ الشُّكْرِ بِإِقَامَةِ الطَّاعَةِ وَإِدَامَةِ الْعَمَلِ.فَلَمَّا فَقَدَ نِعْمَةَ الْهُدْهُدِ تَوَقَّعَ أَنْ يَكُونَ قَصَّرَ فِي حَقِّ الشُّكْرِ، فَلِأَجْلِهِ سُلِبَهَا، فَجَعَلَ يَتَفَقَّدُ نَفْسَهُ، فَقَالَ: مَالِي، وَكَذَلِكَ تَفْعَلُ شُيُوخُ الصُّوفِيَّةِ إذَا فَقَدُوا آمَالَهُمْ تَفَقَّدُوا أَعْمَالَهُمْ. هَذَا فِي الْآدَابِ، فَكَيْفَ بِنَا الْيَوْمَ، وَنَحْنُ نُقَصِّرُ فِي الْفَرَائِضِ.[٤]

توجيه:ثم يوجه النقل السابق بقوله:مثل هذه المعاني الدقيقة القرآنية الجليلة النفيسة من مثل هذا الإمام الجليل، من أجلّ علوم القرآن وذخائره» إذ هي معان صحيحة في نفسها، ومأخوذة من التركيب القرآني أخذاً عربياً صحيحاً ،ولها ما يشهد لها من أدلة الشرع

وكلّ ما استجمع هذه الشروط الثلاثة فهو صحيح مقبول.ومنه فهم عمر وابن عباس رضي الله عنهم أجل رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم من سورة النصر[٥]

---

(١) التبيان في علوم القرآن ص:191محمد علي الصابوني ،مناهل العرفان في علوم القرآن 78/2محمد عبد العظيم الزرقاني

(٢) النمل: ٢٠

(٣) عبد الكريم بن هَوازِن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد الإمام أبو القاسم القُشَيْرِيّ النَيْسابورِيّ .الزاهد، الصوفي، شيخ خراسان، وأستاذ الجماعة، ومقدَّم الطائفة من كتبه " التيسير في التفسير ولطائف الإشارات والرسالة القشيرية.معجم المؤلفين6/6 ،الأعلام457

(٤) مجالس التذكير ص:267 ،أحكام القرآن،479/3 لابن العربي

(٥) قصد بذلك ما جاء عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال :كان عُمَرُ يُدْخِلُنِي مع أَشْيَاخِ بَدْرٍ فقال بَعْضُهُمْ لِمَ تُدْخِلُ هذا الْفَتَى مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ فقال إنه مِمَّنْ قد عَلِمْتُمْ قال فَدَعَاهُمْ ذَاتَ

أمّا ما لم تتوفّر فيه الشروط المذكورة، وخصوصاً الأول والثاني، فهو الذي لا يجوز في تفسير كلام الله. وهو كثير في التفاسير المنسوبة لبعض الصوفية، كتفسير ابن عبد الرحمن السلمي [1] من المتقدّمين، والتفسير المنسوب لابن عربي [2]من المتأخّرين».[3]

والأمر المهم فيما سبق نقله من تفسير الشيخ هو الجزء الأخير الذي يذك ر فيه الشروط اللازمة لقبول التفسير الإشاري وهي كما ذكرها

1-كون المعان صحيحة في نفسها،

2-ومأخوذة من التركيب القرآني أخذاً عربياً صحيحاً،

3-ولها ما يشهد لها من أدلة الشرع بل يضيف إلي ذلك صحة التفسير الإشاري المشتمل علي هذه الشروط بدليل من السنة وهو ما أشير إليه في النقل السابق،

---

يَوْمٍ وَدَعَانِي مَعَهُمْ قال وما أريته دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إلا لِيُرِيَهُمْ مِنِّي فقال ما تَقُولُونَ في( إذا جاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ الناس يَدْخُلُونَ في دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا )حتى خَتَمَ السُّورَةَ فقال بَعْضُهُمْ أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إذا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا وقال بَعْضُهُمْ لَا نَدْرِي أو لم يَقُلْ بَعْضُهُمْ شيئا فقال لي يا بن عَبَّاسٍ أَكَذَاكَ تَقُولُ قلت لَا قال فما تَقُولُ قلت هو أَجَلُ رسول اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ الله له ) إذا جاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ( فَتْحُ مَكَّةَ فَذَاكَ عَلَامَةُ أَجَلِكَ ( فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إنه كان تَوَّابًا) قال عُمَرُ ما أَعْلَمُ منها إلا ما تَعْلَمُ . صحيح البخاري كِتَاب التفسير -باب تفسير سُورَةُ ( إذا جاء نَصْرُ اللَّهِ ) 4/1901ح 4686

(١) هو مُحَمَّدُ بنُ الحُسَيْنِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ مُوْسَى أبو عبد الرحمن السُّلَمِيّ. وهو أَزْدِيّ الأب. كان شيخ الصوفية وعالمهم بخراسان، صنف لهم "سنناً "و"تفسيراً "و"تاريخاً"وغير ذلك.. مولده في رمضان سنة ثلاثين وثلاثمائة، وقيل غير ذلك،ومات في شعبان سنة إثنتي عشرة وأربعمائة .قال الذهبي في "تاريخه":كتابه "حقائق التفسير " ليته لم يصنفه فإنه تحريف وقَرْمطة" تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير 207/28، الذهبي، سير أعلام النبلاء /247 ، الذهبي ،وطبقات المفسرين للسيوطي 31، طبقات المفسرين للداوودي 2 /137– 139، الأعلام 99/6.

(٢) محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله أبو بكر الطائي الحاتمي الأندلسي المرسيّ المعروف بابن عربي(محيى الدين، الشيخ الأكبر) حكيم، صوفي، متكلم، فقيه، مفسر أديب، شاعر، ولد في مرسية بالا ندلس في رمضان،وأنكر عليه أهل الديار المصرية (شطحات) صدرت عنه، فعمل بعضهم على إراقة دمه، كما أريق دم الحلاج وأشباهه. له نحو أربعمائة كتاب أشهرها "الفتوحات المكية في معرفة الأسرار المالكية" مات في شوال سنة ثمان وثلاثين وستمائة. فوات الوفيات 2/ 241"،الأعلام 281/6،ميزان الاعتدال 108/3، شذرات الذهب 190/5.

(٣) مجالس التذكير 268

والخلاصة أن الشيخ لا يمانع في استخدا م التفسير الإشاري مقروناً بضوابطه كما هو الحال في التفسير العلمي الذي استخدمه ولكن بضوابط،وما خرج من هذه الأنواع عن الضوابط فلا يُعد بياناً لآيات القرآن.[1]

# الخاتمة

بعد هذه الرحلة المباركة مع تفسير كلام الله تعالي من خلال دراسة منهج الشيخ عبد الحميد بن باديس–رحمه الله–استطيع أن أقف بالقاري الكريم علي جملة من النقاط:

1–يُعد تفسير ابن باديس من جملة التفاسير الأدبية الاجتماعية التي تحمل الصبغة الدعوية الإرشادية،والمدرسة الاجتماعية التي ينتمي لها تفسير ابن باديس وضع بذورها الأولى السيد جمال الدين الأفغاني والسيد محمد عبده في العصر الحديث، ثمَّ تبلورت معالمها في تفسير المنار ،ومن بعده تفسير «محاسن التأويل» لجمال الدين القاسمي (ت: 1332ه) وتفسير أحمد مصطفى المراغي (ت: 1371ه)، وتفسير «في ظلال القرآن» لسيّد قطب(ت: 1368ه)، وغيرهم من المعاصرين.وقد نهجت هذه المدرسة بالتفسير منهجاً أدبياً اجتماعياً، فكشفت عن بلاغة القرآن وإعجازه، وأوضحت معانيه ومراميه، وأظهرت ما فيه من سنن الكون الأعظم ونظم الاجتماع، وعالجت مشاكل الأمة الإسلامية خاصة، ومشاكل الأُمم عامة، بما أرشد إليه القرآن، من هداية وتعاليم، جمعت بين خيري الدنيا والآخرة، ووفَّقت بين القرآن وما أثبته العلم من نظريات صحيحة، وجلت للناس أن القرآن كتاب الله الخالد، الذي يستطيع أن يساير التطور الزمني والبَشرى، إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها، ودفعت ما ورد من شُبَه على القرآن، وفنَّدت ما أُثير حوله من شكوك وأوهام، بحجج قوية قذفت بها على

(١)تعرض الإمام الشاطبي والشيخ محمد حسين الذهبي للشروط المتعلقة بالتفسير الاشاري ليكون مقبولاً راجع للمزيد:الموافقات في أصول الفقه2394/3،التفسيروالمفسرون279/2

الباطل فدمغته فإذا هو زاهق .. كل هذا بأسلوب شيق جذاب يستهوي القارئ، ويستولى على قلبه، ويُحَبب إليه النظر في كتاب الله، ويُرَغبه في الوقوف على معانيه وأسراره .[1] وان كانت هذه بعض مزايا المدرسة الاجتماعية فهي ليست سالمة من المآخذ.

2-طريقة التفسير التي سار عليها ابن باديس من خلال المقالات التي نشرها في مجلة الشهاب،والتي تمثل النواة المكونة لمجالس التذكير تختلف نوعاً ما عن طريقة التفسير التي سلكها خلال دروس تفسير القرآن التي كان يلقيها في المسجد الخضر ،وذلك يرجع إلي طبيعة الدرس التي تختلف عن طريقة المقال.

3-سلك ابن باديس في تفسير كلام الله أسلوبا سلفي النزعة والمادة،عصري الأسلوب والمرمي،مستمدا من ايات القران وأسرارها،أكثر مما هو مستمد من التفاسير وأسفارها،وقد اعتمد في دروسه التفسيرية علي تفاسير مخصوصة في مواضع مخصوصة، كالطبري في المأثور ،والكشاف في أسرار الإعجاز ،وذلك صحيح ومفيد لمن يجعل فهوم الرجال مقاييس لنهمه،ولا يعطيها أكثر من أنها فهوم تصيب وتخط ئ،أما المعني الصحيح لكتاب الله فيستجليه من البيان العربي،والشرح النبوي،ومن مقاصد الدين،وأسرار التشريع، ومن عجائب الكون،وسنن الله فيه،ومن أحكام الاجتماع الإنساني،ومن تصاريف الزمن، ونتائج العقول،وثمرات العلوم التجريبية.[2]

3- حاول ابن باديس-رحمه الله- من خلال تفسيره للقران الكريم أن ينبه الأمة إلي مزايا الجماعة،وفائدة الاجتماع،ويؤكد هذا عند تفسيره لقول الله تعالي (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ)[3] حيث كان ابن باديس يُظهر اهتماماً كبيراً بقيمة العمل الجماعي المنظّم، ويعتبره شرطاً ضرورياً لنهضة الأمّة،وفي ذلك يقول:«إنّما ينهض المسلمون بمقتضيات إيمانهم بالله ورسوله إذا كانت لهم قوّة، وإنّما تكون لهم قوّة إذا كان لهم جماعة منظّمة،تفكر وتدبّر وتتشاور وتتآزر ،وتنهض لجلب المصلحة ولدفع المضرّة، متساندة في العمل عن فكر وعزيمة. ولهذا قرن الله في هذه الآية بين

(١)التفسير والمفسّرون 401/2 بتصرف
(٢) بتصرف من كلمة الشيخ الإبراهيمي في تلخيص درس الختم
يراجع : مجالس التذكير ص:399 ط:وزارة الشئون الدينية الجزائر
(٣) النور:62.

الإيمان بالله ورسوله، والحديث عن الجماعة وما يتعلّق بالاجتماع، فيرشدنا هذا إلى خطر أمر الاجتماع ونظامه، ولزوم الحرص والمحافظة عليه، كأصل لازم للقيام بمقتضيات الإيمان وحفظ عموم الإسلام».[١]

4- رغم كون ابن باديس مالكي المذهب إلا أنه لم يتعصب لمذهبه مطلقاً بل كان ينظر في الأدلة،ويرجح مستنداً إلي مرجح، وتخلصه من المذهبية يؤكد أن الشيخ كان ذا عقلية مستنيرة واعية مع ما وصف به من شدة الإنصاف والتغلب علي الأماني النفسية والأغراض الشخصيةٍ وتجده يكتب في «الشهاب» قائلاً: «كن عصرياً في فكرك، وفي عملك وفي تجارتك وفي صناعتك وفي فلاحتك، وفي تمدنك وفي رقيك»[٢].

5-تميز تفسير ابن باديس بخصائص لم يعهدها المفسرون من قبله منها أنه تجاوز فيه تقاليد الإسلام في بلدان المغرب العربي،تلك التقاليد القائمة على الطقوسية والحياة الشرعية والأحكام الفقهية بأسلوب جاف، أما ابن باديس فكان يبحث عن حلول إسلامية للمجتمع الإسلامي أمام الغزو الغربي وتشمل هذه الحلول الميادين السياسية الاجتماعية والثقافية،ولذلك فان تفسيرابن باديس يدخل في نطاق أسلمة الأفكار وصراعها مع الحياة في الجزائر.

6-لم يسر ابن باديس في تفسيره على الطريقة التقليدية، أي أنه كان تفسيراً منتظماً شاملاً، ولكنه اقتصر فيه على أجزاء متفرقة، فهو تفسير جزئي . ولكنه اتخذ من القرآن الكريم وسيلة لتوضيح الأفكار المعاصرة من أجل بناء مجتمع إسلامي في نطاق المدنية الإسلامية الملائمة مع روح العصر والوفية لروح الإسلام نفسه . وإذا نظرنا إلى حجم تفسير ابن باديس فإننا نجده يمثل أكبر قدر من كتاباته الفكرية. وقد ظهر فيه ابن باديس باحثاً ناقداً موازناً وليس صحفيا يكتب بسرعة ليرد على رأي أو ليعالج مسألة آنية. إن ابن باديس قد ظهر فيه معلماً رزيناً ومستنبطاً حكيماً، خائضاً في مسائل العقائد الإسلامية والأفكار المعاصرة، وهكذا يصبح تفسير ابن باديس مصدراً أساسياً للفكر الإصلاحي في الجزائر ، ولما سماه بعضهم بمدرسة "الشهاب"، وربما مصدراً أساسياً للفكر الإصلاحي الحديث عموما. ولذلك يحتفظ هذا التفسير بقيمته الخاصة رغم ما قد يوجه إليه من نقد أحياناً.

---

(١) مجالس التذكير ص:335

(٢)الشهاب، العدد49، السنة الثالثة، آب1926، نقلاً عن: جمعية العلماء، ص126.

7- لم يكن ابن باديس في تفسيره للقران مكتفياً بإبراز المعاني القرآنية وحسب بل راح يأخذ من الآيات الكثير من التوجيهات إلي الأفراد والشعوب مؤكداً أن هذا هو الفهم الحقيقي للإسلام المأخوذ من القران والسنة بفهم سلف الأمة لا شئ سواه فنراه عند حديثه عن الدعوة إلى الله بالحكمة أثناء تفسير قو ل الله چ ہ ہ ہ ہ ھ ھ چ [1]،وجّه نقداً دينياً اجتماعياً وتحذيراً دعوياً إل ى طبيعة ممارسة الخطباء لخطب الجمعة،والمواعظ في الجزائر حيث قا ل: «أكثر الخطباء في الجمعات اليوم في قطرنا يخطبون الناس بخطب معقّدة، مسجّعة طويلة، من مخلّفات الماضي، لا يُراعى فيها شيء من أحوال الحاضر وأمراض السامعين، تُلقى بترنّم وتلحين، أو غمغمة وتمطيط، ثمَّ كثيراً ما تختم بالأحاديث المنكرات، أو الموضوعات».

ثمَّ راح يحذّر المؤمنين والدعاة من مغبّة التورّط في هذا النمط من الدعوة فقال: «فحذار أيها المؤمن أن تكون مثلهم إذا وقفت خطيباً في الناس. وحذار من أن تترك طريقة القرآن والمواعظ النبوية إلى ما أحدثه المحدثون. ورحم الله أبا الحسن كرم الله وجهه، فقد قال: الفقيه، كلّ الفقيه، كلّ الفقيه، من لم يقنّط الناس من رحمة الله، ولم يؤمنهم من مكره، ولم يدَع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه»[2].

8-يعتبر ابن باديس من المجددين القلائل الذين أصلوا العمل التربوي، وربطوا بين الدعوة والإصلاح الاجتماعي وخلصوا المجتمع من الخرافة والشعوذة والبدع- من ناحية - ومن نفايات الثقافة الغربية -من ناحية أخرى-

9- يصف الشيخ الإبراهيمي أسلوب ابن باديس بأنه أسلوب سلفي النزعة والمادة عصري الأسلوب والمرمى يستمد من آيات القرآن وأسرارها أكثر مما يستمد من التفاسير وأسفارها.[3]

10-إن التجديد الحقيقي هو الذي ينطلق من الإسلام وبالإسلام،وهذا ما دعا إليه ابن باديس وطبقه في كل محاولاته التجديدية، إذ يلتمس من كل باحث أن ينطلق دائما من نقطة إسلامية لا تخرج عن قيم الإسلام ومعتقداته.

---

(١) النحل: ١٢٥

(٢) مجالس التذكير ص:324 بتصرف

(٣) الشهاب ج4 م10 يوليو 1934 ص189 .

## قائمة المراجع والمصادر

- ِ ِ ِابن باديس حياته وآثاره ، عمار الطالبي . الجزائر ، 1388هـ- 1968م-
-أحكام القرآن للشافعي –جمع البيهقي، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ) كتب هوامشه :عبد الغني عبد الخالق،قدم له :محمد زاهد الكوثري ،ط:مكتبة الخانجي– القاهرة، ط:الثانية ،1414 هـ - 1994 م
-أحكام القرآن، تأليف:أبو بكر بن العربي، ط: دار الفكر للطباعة والنشر – لبنان، تحقيق: محمد عبد القادر عطا
-أحكام القرآن،تأليف: أحمد بن علي الجصاص ، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت – 1405، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي
-أدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم في أبوي الرسول عليه الصلاة والسلام، المؤلف: علي بن سلطان محمد القاري،ط: مكتبة الغرباء الأثرية–المدينة المنورة ، الطبعة:الأولى، 1993، تحقيق :مشهور بن حسن بن سلمان.
-أساس البلاغة: تأليف: محمود بن عمر الزمخشري، ط: دار الفكر– 1399هـ 1979م
-أسباب نزول القرآن للواحدي، ت:عصام بن عبد المحسن الحميدان ط : دار الإصلاح – الدمام ،ط : الثانية ، 1412 هـ –1992 م
-أسرار ترتيب القرآن، تأليف: جلال الدين السيوطي ، ط: دار الاعتصام – القاهرة، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا
-أصول السنة، تأليف: أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، ط: دار المنار – الخرج – السعودية – 1411هـ، ط: الأولى.
-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، تأليف: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، ط: دار الفكر للطباعة والنشر .–بيروت.– 1415هـ– 1995م.، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.
-أعلام الإصلاح، محمد دبوز :المطبعة العربية، الجزائر 1971 م، ط1
-إعلام الموقعين عن رب العالمين، تأليف: ابن قيم الجوزية ، ط: دار الجيل – بيروت – 1973، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد
-الإتقان في علوم القرآن، تأليف: جلال الدين السيوطي، ط: دار الفكر لبنان – 1416هـ– 1996م،ط: الأولى، ت: سعيد المندوب،
-الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار،تأليف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البط: دار الكتب العلمية – بيروت 200θم، ط: الأولى، تحقيق: سالم محمد عطا–محمد علي معوض
-الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير الدكتور /محمد بن محمد أبو شهبة . رحمه الله. ط :مكتبة السنة ط: الرابعة1490هـ/ 1980م
-الإمام عبد الحميد بن باديس: الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية ،محمود قاسم . دار المعارف . القاهرة . 1979م
-الإمام عبدالحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة من خلال آثاره في التفسير والحديث ،رسالة ماجستير مقدمة من الباحث/عامر علي العرابي،جامعة أ م القري بالمملكة العربية السعودية 1408-1409 هـ

-البرهان فى تناسب سور القرآن،المؤلف : الإمام / أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي ( المتوفى 708 هـ )،ط : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المغرب 1410هـ - 1990 م،تحقيق : محمد شعباني
-البرهان في علوم القرآن، تأليف: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، ط: دار المعرفة - بيروت - 1391، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم
-التبيان في أقسام القرآن، تأليف: ابن قيم الجوزية ، ط: دار الفكر
-التبيان في علوم القرآن ،محمد علي الصابوني ط:دارعمر بن الخطاب- الإسكندرية،
-التحرير والتنوير المؤلف: محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)ط:الدار التونسية للنشر-تونس سنة النشر: 1984هـ
-التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،المؤلف :د وهبة بن مصطفى الزحيلي ،ط :دار الفكر المعاصر- دمشق،الطبعة : الثانية ، 1418 هـ
-التفسير والمفسرون ، د/محمد حسين الذهبى ، مكتبة وهبة ،القاهرة ، الطبعة السابعة 2000م
-التفسير ورجاله ،لمحمد الفاضل ابن عاشور ، ط/ دار سحنون للنشر تونس 1998م
-التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تأليف: ابن عبد البر ، ط: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب- 1387هـ ،تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري .
-الجامع الصحيح المختصر ،تأليف:محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ط:دار ابن كثير ،اليمامة-بيروت- 1407هـ- 1987م، ط: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا
-الجامع الصحيح سنن الترمذي، تأليف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، ط:دار إحياء التراث العربي -بيروت-تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون
-الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط: دار الشعب - القاهرة
-الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث، تأليف: أحمد بن عبد الكريم بن سعودي الغزي العامري،ط:دار الراية- الرياض - 1412هـ، ط: الأولى، تحقيق: بكر عبد الله أبو زيد
-الخرشي على مختصر سيدي خليل، تأليف: محمد بن عبد الله الخرشي (المتوفى : 1101هـ)،ط: دار الفكر للطباعة - بيروت
-الدر المنثور، تأليف: جلال الدين السيوطي، ط: دار الفكر -بيروت- 1993 م
-السبعة في القراءات ، تأليف: أبو بكر ابن مجاهد البغدادي، ط: دار المعارف - مصر - 1400هـ، ط: الثانية، تحقيق: شوقي ضيف
-الشفا بتعريف حقوق المصطفى - مذيلاً بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء،القاضي= عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى :544هـ)الحاشية:أحمد بن محمد بن محمد الشمنى (المتوفى : 873هـ)ط : دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع- بيروت - لبنان 1409هـ - 1988م
-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،ط: دار العلم للملايين - بيروت،ط: الرابعة 1407هـ - 1987 م
-الصلاة وحكم تاركها وسياق صلاة النبي من حين كان يكبر إلى أن يفرغ منها، تأليف: ابن قيم الجوزية، ط: الجفان والجابي - دار ابن حزم - قبرص - بيروت - 1416هـ- 1996، ط: الأولى، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي

–الفصل في الملل والأهواء والنحل".تأليف: ابن حزم الظاهري أبو محمد، ط: مكتبة الخانجي – القاهرة.
–القبس في شرح موطأ مالك بن انس ، أبو بكر بن العربي دراسة وتحقيق: د/محمد عبد الله ولد كريم ،أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراهط :دار الغرب الإسلامي ،الطبعة الأولى 1992م
–المستدرك على الصحيحين، تأليف: أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – 1411هـ– 1990م، ط: الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا
–المعجم الوسيط، تأليف: إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر/ محمد النجار، ط: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.
–المنتخب من مسند عبد بن حميد، تأليف: عبد بن حميد بن نصر ، ط: مكتبة السنة – القاهرة – 1408هـ– 1988م ، ط: الأولى، تحقيق:صبحي البدري السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيدي.
–الموافقات في أصول الفقه، تأليف: إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، ط: دار المعرفة – بيروت،ت:عبد الله دراز ،
–الموسوعة الفقهية الكويتية ، صادرة عن :وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، عد د الأجزاء: 45 جزءا، الطبعة:( من 1404هـ – 1427 هـ)الأجزاء 1 – 23:الطبعة الثانية، دار السلاسل–الكويت.
–النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى : 833هـ)المحقق :علي محمد الضباع (المتوفى 1380هـ)ط:المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية]
–أنور الجندي ،الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا . الدار القومية للطباعة والنشر –القاهرة . 1385هـ– 1965م.
–تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط: دار الكتاب العربي – لبنان بيروت – 1407هـ – 1987م، ط: الأولى، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمرى
–تاريخ المدينة النبوية ،ابن شبه أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري 173هـ – 262هـ ،دار الفكر ،تحقيق : فهيم محمد شلتوت
–تحبير التيسير في القراءات العشر، تأليف: ابن الجزري شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن يوسف، ط: دار الفرقان – الأردن /عمان – 1421هـ– 2000م، ط: الأولى، تحقيق: د.أحمد محمد مفلح القضاة
–تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تأليف: جلال الدين السيوطي، ط: مكتبة الرياض الحديثة – الرياض، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف
–تفسير البحر المحيط، تأليف: أبو حيان الأندلسي، ط: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – 1422هـ – 2001م، ط: الأولى، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق 1) د.زكريا عبد المجيد النوقي 2) د.أحمد النجولي الجمل
–تفسير القرآن العظيم، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار النشر: دار الفكر – بيروت – 1401هـ
–تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير، تأليف: ابن حجر العسقلاني – المدينة المنورة – 1384هـ – 1964م ، تحقيق: السيد عبدالله هاشم اليماني المدني

-جامع البيان عن تأويل آي القرآن،تأليف: محمد بن جرير الطبري ، ط: دار الفكر – بيروت – 1405هـ
-جامع البيان في تأويل القرآن ،محمد بن جرير الطبري ،تحقيق : أحمد محمد شاكر ،ط : مؤسسة الرسالة،الطبعة : الأولى ، 1420هـ - 2000م،عدد الأجزاء : 24
-حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، تأليف: محمد عرفه الدسوقي، ط: دار الفكر – بيروت، تحقيق: محمد عليش
-دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ،المؤلف :محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : 1393هـ)ط : مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، توزيع : مكتبة الخراز – جدة.
-ديوان المتنبي،تأليف: أبو البقاء العكبري، ط: دار المعرفة – بيروت، تحقيق: مصطفى السقا/إبراهيم الأبياري/عبد الحفيظ شلبي
-زاد المسير في علم التفسير، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط:المكتب الإسلامي-بيروت- 1404هـ ،ط: الثالثة
-سير أعلام النبلاء ، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت -1413هـ ، ط:التاسعة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي
-شرح السنة، تأليف: الحسين بن مسعود البغوي، ط: المكتب الإسلامي ، دمشق _ بيروت – 1403هـ - 1983م، ط: الثانية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش .
-شرح العقيدة الطحاوية ،تأليف: ابن أبي العز الحنفي، ط:المكتب الإسلامي- بيروت – 1391هـ ،ط: الرابعة ،
-شرح العقيدة الطحاوية،المؤلف : صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (ت: 792هـ )ت : أحمد شاكر ط :وزارة الشؤون الإسلامية ،والأوقاف والدعوة والإرشاد ط : الأولى – 1418هـ
-شرح العقيدة الواسطية ،المؤلف : محمد بن خليل حسن هرّاس (المتوفى : 1395هـ)ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق :علوي بن عبد القادر السقاف ط:دار الهجرة للنشر والتوزيع- الخبر، ط:الثالثة ، 1415هـ
-شرح مشكل الآثار، تأليف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، ط: مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت - 1408هـ - 1987م، ط: الأولى، تحقيق: شعيب الأرنؤوط
-شعب الإيمان، تأليف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – 1410هـ ، ط: الأولى، ت: محمد السعيد بسيوني زغلول
-شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، وما بعدها تأليف: ابن قيم الجوزية ، ط: دار الفكر – بيروت- 1398هـ ، ت: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي .
-صحيح مسلم بشرح النووي،تأليف: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – 1392هـ ، الطبعة: الثانية.
-صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج النيسابوري، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي
-طبقات المفسرين للداوودي ،تأليف:أحمد بن محمد الأدنه وي، ط: مكتبة العلوم والحكم – السعودية - 1417هـ- 1997م، ط: الأولى، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي.
-طريق الهجرتين وباب السعادتين، تأليف: ابن قيم الجوزية ، ط: دار ابن القيم – الدمام – 1414هـ- 1994م،ط:الثانية، ت: عمر بن محمود أبو عمر

-عبد الحميد بن باديس رائد الحركة الإسلامية في الجزائر المعاصرة ، محمد فتحي عثمان . دار القلم . الكويت . 1407هـ- 1987م.
-العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، تأليف: عبد الحميد بن باديس، ط: دار الفتح – الشارقة – الإمارات العربية – 1416هـ- 1995م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد الصالح رمضان
-عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية. لمصطفى محمد حميداتو، عن سلسلة (كتاب الأمة)، سلسلة دورية يصدرها مركز البحوث والدراسات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر،العدد(57)المحرم1418هالسنة السابعة عشرة.
-علم أصول الفقه ،عبد الوهاب خلاف (المتوفى : 1375هـ)ط: مكتبة الدعوة – شباب الأزهر (عن الطبعة الثامنة لدار القلم)
-غريب الحديث، تأليف: أبو الفرج ابن الجوزي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – 1405هـ - 1985م ، ط: الأولى، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي
-فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: ابن حجر العسقلاني الشافعي، ط:دار المعرفة- بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب
-إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ،شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي ط/دار الكتب العلمية – لبنان – 1419هـ1998م ،ط:الأولى ت:أنس مهرة
-فضائل القرآن،المؤلف :أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ،ط:مكتبة ابن تيمية ،ط:الطبعة الأولى – 1416هـ
-كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ،تأليف: ابن تيمية الحراني، ط: مكتبة ابن تيمية، ط: الثانية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي
-كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تأليف: إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، ط: مؤسسة الرسالة- بيروت – 1405هـ ،ط: الرابعة،تحقيق: أحمد القلاش
-لباب النقول في أسباب النزول، تأليف: جلال الدين السيوطي ، ط: دار إحياء العلوم – بيروت
-لسان العرب، تأليف: ابن منظور الأفريقي المصري، ط: دار صادر – بيروت، ط: الأولى
-لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، تأليف: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، ط:الدار السلفية – الكويت – 1406هـ، ط:الأولى، ت: بدر بن عبد الله البدر
-مباحث في علوم القرآن مناع القطان،ط:مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط: الثالثة 1421هـ - 2000م
-مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف :أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى : 241هـ)المحقق : شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد ، وآخرون،إشراف : د عبد الله بن عبد المحسن التركي،ط:مؤسسة الرسالة،الطبعة : الأولى ، 1421هـ-2001 م
-مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ ،: برهان الدين البقاعي الشافعي (ت 885 هـ ) ط:مكتبة المعارف – الرياض ط : 1408هـ- 1987 م
-معالم السنن ،وهو شرح سنن أبي داود،المؤلف :أبو سليمان الخطابي البستي (288 هـ)،ط:المطبعة العلمية- حلب،ط: الأولى1351هـ-1932م
-مفاتيح الغيب : فخر الدين الرازي الشافعي ط/ دار الكتب العلمية ط/ 1421هـ - 2000م بيروت

–مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية ،تحقيق عصام الحرستاني، ومحمد شكور، دار عمار، عمان، ط1، 1418هـ – 1997م.
–ملحق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.قانونها الأساسي ومبادئها الإصلاحية مطبعة دار الكتب الجزائر بدون .
–مناهل العرفان في علوم القرآن محمد عبد العظيم الزرقاني(المتوفى: 1367هـ) ط:مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه،ط : الثالثة
–موطأ الإمام مالك، تأليف: مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، ط: دار إحياء التراث العربي – مصر ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي
–نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ،المؤلف: برهان الدين البقاعي،ط: دار الكتب العلمية – بيروت– 1415هـ– 1995م،تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي
–نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ط: دار الجيل – بيروت – 1973م
– شرح المقاصد في علم الكلام، تأليف: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، دار النشر: دار المعارف النعمانية – باكستان – 1401هـ – 1981م، الطبعة: الأولى